رسالة الإسلام التقدمي

قرار المؤتمر الثامن والأربعين للقمّة المحمدية لعام ٢٠٢٢ م

الرئاسة المركزية للجمعية المحمدية
إندونيسيا
٢٠٢٤

رسالة الإسلام التقدمي

قرار المؤتمر الثامن والأربعين للقمّة المحمدية لعام ٢٠٢٢ م

الرئاسة المركزية للجمعية المحمدية
إندونيسيا، ٢٠٢٤

رسالة الإسلام التقدمي
(قرار المؤتمر الثامن والأربعين للقمة المحمدية لعام ٢٠٢٢م)

الناشر:
الرئاسة المركزية للجمعية المحمدية
تم طبعها في مطابع
شركة جراماسوريا للطباعة بيوجياكرتا إندونيسيا

الطبعة الأولى، يناير ٢٠٢٤
الترجمة العربية للطبعة الأولى، ٢٠٢٤

توطئـــــــــة
بقلم الرئاسة المركزية للجمعية المحمدية، إندونيسيا

تمخّض المؤتمر الثامن والأربعين للجمعية المحمدية (المحمدية) عن قرار «رسالة الإسلام التقدمي». ومن قبل ذلك المؤتمر، لم يكن مفهوم الإسلام التقدمي، ولا الفكر المتداول حوله أمراً غريباً بالنسبة للمحمدية.

أولاً, وبشكل اصطلاحي جوهري فإنّ مفهوم «الإسلام التّقدّمي» له جذور تاريخية تعود إلى فكر الشيخ المؤسّس للمحمدية الشيخ أحمد دحلان -رحمه الله- وإلى الفكر الرسمي للمحمدية في المرحلة التالية له حيث تم تقديم كلمة 'التّقدّم' وعبارة 'يعمل على تقدّم' و 'ذو الصبغة التّقدّمية'.

وثانياً, تمّت صياغة الأسس الفكرية لـ «الإسلام التّقدّمي» بشكل منظومي في المؤتمر السادس والأربعين للمحمدية عام ٢٠١٠ الميلادي في يوجياكرتا باعتباره جزءاً من 'إعلان القرن الثاني للمحمدية'. وحينها تمّ تقديم الإسلام التّقدّمي باعتباره 'وجهة نظر إسلامية' والذي يحوي أفكاراً عدة أهمّها: «أنّ المحمدية هي حركة إسلامية تقوم بمهام الدّعوة والتّجديد من أجل إعادة إحياء المجتمع الإسلامي الحق. وبالنّسبة للمحمدية فإنّ الإسلام يُعد القيمة الأسمى والأساس المتين ومركز الإلهام الذي يُوحِّد جميع نبض شرايين تلك الحركة. توقن المحمدية بأنّ

الإسلام رسالة ما فتئ الأنبياء يبلّغونها على مر العصور وصولاً لنبي آخر الزمان النّبي محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- وأنّه دين الله التام والكامل. وإلى جانب احتوائه على أوامر ونواهٍ فإنّ الإسلام يحتوي هدايات وإرشادات تقود النّاس إلى سلامتهم في الدّنيا والآخرة.»

وعبّر الإعلان الفكري للمحمدية في قرنها الثاني لعام ٢٠١٠ المذكور عليه فإنّه قد تمّ التّأكيد أيضاً على أنّ «المحمدية تعتقد بأنّ الإسلام يحتوي قيم التّقدّم الحضاري من أجل تحقيق التنوير والرخاء للإنسانية جمعاء. والتّقدّم من وجهة نظر إسلامية هو لفظ يدلّ على كافة الأشكال السامية للخير والّتي تُنتج التّفوّق المادي والروحي معاً. وفي هذا الإطار تنظر المحمدية إلى الدعوة والتّجديد باعتبارهما سبُل تغيير من أجل تحقيق الإسلام ديناً يعمل على تحقيق التّقدّم الحياتي للإنسانية على مرّ العصور. ومن منظور المحمدية فإنّ الإسلام يعتبر ديناً تقدمياً (دين الحضارة) حيث يحمل حضوره في حياة النّاس رحمة للعالمين أجمعين.

والإسلام ذو الطبيعة التّقدمية الذي يشع ضياؤه على حياة النّاس ومن وجهة نظر عقَدِيّة يعتبر انعكاساً لقيم التّسامي الروحي والتحرير والإعتاق والتّعامل الإنساني كما حواها القرآن الكريم في أية ١٠٤ و١١٠ من سورة آل عمران وهما الآيتان اللتان تعتبران مصدر إلهام للمحمدية في أيام تأسيسها. وباعتبار العقيدة الحركية الاجتماعية (الأيديولوجية) فإنّ الإسلام ذو الطّبيعة

التّقدّمية الساعي للتنوير الحضاري يعتبر شكلاً من أشكال تفعيل تعاليم سورة الماعون ليصير دعوة واجتهاداً في معترك حياة الأمّة الإسلامية والأمّة القومية (إندونيسيا) والإنسانية جمعاء. إنّ تفعيل القيم الإسلامية في شكل تقدّم وتنوير حضاريين يتجسّد في اجتهاد مستمرّ من منظور التّديّن القائم على القرآن والسنة بشكل يستجيب للتّحديات الحياتية الراهنة في القرن الحادي والعشرين الميلادي بما تضمّه من تعقيدات كبرى.

لقد تمّ التأكيد في الإعلان المذكور أيضاً على أنّ «الإسلام ذو الطبيعة التّقدّمية ينشر بذور الحقيقة والخير والسلام والعدل والمصلحة والرخاء والرقي الحياتي بشكل حيوي لجميع النّاس في الأرض. إنّه الإسلام الّذي يثمّن عالياً كرامة الإنسان رجالاً كانوا أم نساء من دون تمييز. إنّه دعوة لإحداث حراك عالمي ضدّ الحروب العدوانية والأعمال الإرهابية ضدّ الأبرياء والعنف غير القائم على الحق وكافة أشكال الظلم والاضطهاد والتخلّف الحضاري وكافة أشكال الإفساد في الأرض مثل الفساد الإداري وإساءة استخدام السلطة والجرائم ضدّ الإنسانية والاستغلال غير المتوازن للموارد الطبيعية وضدّ كافة أشكال المنكرات الأخرى الّتي من شأنها تدمير مختلف أشكال الحياة. إنّه الإسلام الذي يدعو إلى إقامة خيرية الأمّة الإسلامية التي من شأنها رعاية كافة أشكال التنوّع الأممي والعرقي والطائفي والثقافي العابرة لأمم الإنسانية جمعاء.

هذا وتلتزم المحمدية بالعمل الدؤوب والمستدام على تحسين منظور ومهام عمل الإسلام ذي الطبيعة التقدمية كما تجلّى ذلك الالتزام في اللّحظة الأولى الّتي نُفخت فيها روح ميلاد المحمدية عام ١٩١٢ الميلادي. لقد أسفرت رؤية الإسلام ذي الطبيعة التّقدّمية التي دعا إليها مؤسّس المحمدية عن عقيدة التّقدّم الحركية والتي عُرفت على نطاق واسع لاحقاً باسم عقيدة الإصلاح والتجديد الإسلامي والتي تنشد تنوير الحياة العامة للأمّة وللإنسانية جمعاء. إنّ التّنوير باعتباره تجسيداً لرؤية الإسلام ذي الطبيعة التّقدّمية هو سبيل إسلامي نحو التّحرير والتّمكين والارتقاء بجميع أبعاد الحياة الإنسانية بعيدا عن كافة أشكال التخلّف والاضطهاد والجمود والظلم.

وفي ثنايا المؤتمر الثامن والأربعين للقمة المحمدية، تمّت صياغة الأساس المفاهيمي والفكري لتلك الرؤية في شكل 'رسالة الإسلام التّقدّمي' وذلك بشكل أكثر منظومية ووضوحاً. وكان ذلك تنفيذاً لقرار المؤتمر المذكور وتمّ نشره من خلال الكتاب الحالي. ويُرجى من هذا أن يتمّ نشر فكر الإسلام التّقدّمي على نطاق أوسع حتى يمكن استيعابه بشكل أكثر انفتاحاً. وبالنّسبة لأعضاء الجمعية المحمدية يُرجى من نشر هذا الكتاب أن يتمّ استيعابه والعمل به من جانبهم باعتبار ذلك تنفيذاً لقرارات المؤتمر المذكورة والساعية نحو تحقيق رسالة المحمدية كحركة إسلامية ذات منظور إسلامي مميز هو الإسلام التقدمي.

وبينما كانت رسالة الإسلام التّقدّمي في مرحلة الصياغة أثناء المؤتمر الثامن والأربعين كان هناك اتّفاق على أن صياغة هذه الرسالة من شأنها إعادة تدعيم الفكر والحركة اللّذين دفعت بهما المحمدية قدماً من لحظات تأسيسها الأولى. إنّ محتوى هذه الرسالة يتماشى مع ما تمّ اعتماده سابقاً رسمياً من لدُن المحمدية على مدار مؤتمراتها ووثائقها الرسمية السابقة. فعلى سبيل المثال، أكّد على ذلك كلّ من مقدّمة النّظام الأساسي للمحمدية لعام ١٩٥١ م وشروحها؛ ووثيقة القضايا الخمس لعام ١٩٥٥م؛ وخطة بالمبانغ (Palembang) لعام ١٩٥٦ م, والشخصية المحمدية (١٩٦٢)؛ ومتن العقيدة والآمال الحياتية للمحمدية (١٩٦٩)؛ وخطة بونوروجو (Ponorogo) لعام ١٩٦٩م ؛ وخطة أُجونغ باندانغ (Ujung Pandang) لعام ١٩٧١ م ؛ وخطة سورابايا (Surabaya) لعام ١٩٧٨م ؛ ومنهج الترجيح وطريقة إقرار الأحكام في مجلس الترجيح بالمحمدية (١٩٨٩)؛ ومنهج الترجيح وتنمية الفكر الإسلامي (...٢)؛ دليل الحياة الإسلامية لعضو الجمعية المحمدية (...٢)؛ خطة دِنْباسار (Denpasar) لعام ٢..٢م ؛ الاقتراب الثقافي للدعوة المحمدية (٤..٢)؛ الإعلان الفكري للمحمدية في مستهل قرن جديد (٥..٢)؛ الإعلان الفكري للمحمدية في قرنها الثاني (.٢.١)؛ دولة المبادئ الخمس (البانشاسيلا – Pancasila) دار العهد والشهادة (١٥.٢)؛ إندونيسيا المتقدّمة: إعادة بناء الحياة القومية ذات المعنى (١٥.٢)؛ ورسالة التنوير (١٩.٢).

إنّ رسالة الإسلام التّقدّمي لا ينبغي أن تقف عند حدود الصياغة الرسمية بل يجب أن يتمّ فهمها والعمل بها وتجسيدها واقعاً في مختلف الأبعاد الحياتية وعلى الأخص بالنّسبة لجميع أعضاء المحمدية. وكما تمّ التأكيد في خاتمة الرسالة أنّ رؤية «الإسلام التّقدّمي قد تمّ صياغتها على أساس الاعتقاد اليقيني بأنّ الإسلام هو دين يدعو للتّقدّم في جميع مجالات الحياة. والمحمدية باعتبارها منظّمة تقوم على أساس إسلامي، فإنّ على جميع أعضائها وبخاصة القادة منهم مسؤولية تدعيم قيم التّقدّم الحضاري في عملية فهم الدين وتحقيقه في حياتهم الشّخصية أو التّنظيمية أو المجتمعية أو القومية، وصولاً للإنسانية جمعاء.

إنّ عضو المحمدية يحمل مسؤولية الدّعوة إلى المفاهيم الأساسية للإسلام التّقدّمي كي يكون وعياً مشتركاً بين أفراد الأمة الإسلامية وصولاً للتّفوّق الحضاري ولنشر الفهم بين مختلف شعوب الأرض من أجل تحقيق نظام عالمي رحيم عادل ومسالم في سبيل إقامة المصالح الإنسانية بشكل خاص وكافة مخلوقات الله سبحانه بشكل عام. وعلى جميع المؤسّسات التّابعة للمحمدية واجب العمل على تفعيل المفاهيم الأساسية للإسلام التّقدّمي في جميع أبعاد حركتها وخطواتها العملية باعتبار ذلك شكلاً من أشكال الخدمة للأمة الإسلامية وللشّعب الإندونيسي ولكافة أمم الأرض قاطبة. إنّ الواجب والمسؤوليّة المذكورين يعتبران نتيجة منطقية مترتبة على الاختيار الحر الذي قرّره كلّ عضو من أعضاء

المحمدية على نفسه حين اختار المحمدية بكلّ حرية ووعي وطوعي بصفتها جمعية دعوية وتجديدية كإطار يعمل ويخدم من خلاله سعياً لنيل رضا الله سبحانه وتعالى. وفي إطار سعيها لتحقيق ذلك فإنّ المحمدية تعمل جاهدة لتطوير كافة أشكال التّعاون الممكنة مع مختلف الأطراف المعنية انطلاقاً من مبدأ التّعاون على البرّ والتّقوى.»

وفي الختام، نرجو أن يكون نشر هذا الكتاب «رسالة الإسلام التقدمي» بمثابة عامل إضافي من أجل دعم وتثبيت وتزكية وتنوير الفكر الإسلامي في مختلف محافل البيئة الداخلية المحمدية المختلفة خاصة وبالنسبة للأمة الإسلامية عامة. لعلّ الله سبحانه أن يفيض علينا من رحمته وبركته وعطاياه التي لا تنفد.

نصر من الله وفتح قريب

يوجياكرتا، ٧ جمادى الآخر ١٤٤٤ هـ/ ٣٠ ديسمبر ٢٠٢٢م

الأمين العام	الرئيس العام
الأستاذ الدكتور/ عبد المعطي	الأستاذ الدكتور / حيدر ناصر
رقم العضوية الموحَّد: ٧٥٠١٧٨	رقم العضوية الموحَّد: ٥٤٥٥٤٩

قائمة المحتويات

توطئة بقلم الرئاسة المركزية للجمعية المحمدية iii
قائمة المحتويات x

رسالة الإسلام التقدمي
الباب الأول مقدمة الرسالة ٢
الباب الثاني المفاهيم الأساسية للإسلام التقدمي ٧
١- خصائص الإسلام التقدمي ٩
٢- منهج الإسلام التقدمي ١٤
الباب الثالث الإسلام التّقدّمي: حركيات التغيير ٢٦
١- حركة الدعوة ٢٦
٢- حركة التجديد ٣٦
٣- حركة العلم ٣٨
٤- حركة العمل ٣٩
الباب الرابع الإسلام التّقدّمي: خدمات عديدة المستويات ٤١
١- الأنشطة الخدمية الموجهة للأمة الإسلامية ٤١
٢- الأنشطة الخدمية الموجهة للشعب الإندونيسي ٤٧
٣- الخدمات الإنسانية ٦٢
٤- الخدمات العالمية ٧٩
٥- خدمات نحو مستقبل أفضل ٩٢
الباب الخامس خاتمـــــة ٩٦

رسالة الإسلام التقدمي

الباب الأول
مقدّمـــــــــة الرسالة

الجمعية المحمدية هي منظّمة وحركة اجتماعية تقوم على أساس دين الإسلام. وباعتباره ديناً أنزله الله سبحانه وتعالى على النّبي محمد -صلّى الله عليه وسلّم- من أجل تحقيق مصالح عباده فإنّ تعاليم الإسلام قد تمّت ترجمتها بشكل عملي متطوّر على مدى الحقب التاريخية المتتالية سعياً لتحقيق المثال الحضاري الإسلامي وهو مثال يحفل بتحقيق المصالح الأخلاقية والمادية بطريقة مستدامة ومتوازنة فاقت فيه أمّة الإسلام واحتوت بشكل عادل ورحيم ما عداها من الأمم. لكنّ الأيام دول وعندما دار الزمان دورته ظهرت حقائق الحياة عن تديّن إسلامي يكاد يخلو من مظاهر وروح التفوّق الحضاري الذي طالما كان عَلَماً على الأمة الإسلامية. وبالمقابل بدا للعيان أنّ أمة الإسلام تتمسك بدينها ظاهرياً على حين أنّ اعتقادها فيه وعملها به يسوده الجمود والتخلّف عن ركب أعلام الحضارة الإسلامية الذين أثاروا الأرض وعمروها عدلاً ورحمة ومنجزات علمية وتقنية.

وفي ظلّ تلك الأجواء طالما كان التّقدّم الحضاري الإسلامي روحاً وثّابة دافعة للمحمدية من أجل تفعيل الإسلام باعتباره رحمة للعالمين. فالمحمدية تعتقد اعتقاداً جازماً بأنّ الإسلام الحق هو دين التّقدّم الحضاري المستدام والمتوازن وأنّه يجب أن تكون

القوّة المحركة للمسلمين من أجل أن يكونوا شهداء على التفوّق الحضاري للإسلام من جهة وشهداء على الأداء الحضاري للأمم الأخرى من جهة أخرى.

إنّ فهم الإسلام والعمل به حقّ الفهم والعمل لن يكون له أثر إيجابي على الارتقاء بالمحمدية والمنظّمات والأعضاء التابعين لها فقط بل سيمتد ذلك الأثر إلى باقي أفراد ومجتمعات الأمة الإسلامية والأمّة الإندونيسية وصولاً للإنسانية جمعاء. فامتداد الأثر الإيجابي هذا يعد تجسيداً لرسالة النّبي محمد -صلّى الله عليه وسلّم- باعتباره رحمة للعالمين. إنّ الإسلام التّقدّمي هو وجهة نظر تعتبر الإسلام ديناً عالمياً شاملاً يدعو إلى الارتقاء بكافة أبعاد الحياة وبخاصة أفراد أمته من أجل تجسيد ذلك الارتقاء في جميع أبعاد تجربتهم الحياتية سواء كانوا أفراداً أو جماعات أو أمة إسلامية أو شعوباً قومية وصولاً إلى النّاس أجمعين.

ومن بواكير التأسيس كانت رؤية الإسلام التّقدّمي روحاً دافعة داخل تكوين المحمدية. فالكلمات الدالة على التّقدّم والرقي مثل 'يرتقي' و'يعمل على الارتقاء' تمّ تسجيلها بشكل واضح في مثياق المحمدية الأساسي لعام ١٩١٢م. وفي ذلك الميثاق تمّ النص على: «الارتقاء بالشأن الديني لدى أعضاء المحمدية.» وتعدّ تلك الصياغة استكمالا للمقصد الأوّل للمحمدية وهو: «نشر تعاليم دين النّبي محمد -صلّى الله عليه وسلّم- بين السكّان الأصليين في دائرة يوجياكرتا (Yogyakarta)». وبعد ذلك التاريخ بعامين

(١٩١٤) وإلى جانب الاحتفاظ بلفظة «الارتقاء ب» تمّ إضافة تعبير «إشاعة السّعادة» أو «شرح الصدور» حيث تمّت الصياغة بالتّفصيل التالي: «(١) الارتقاء بتعليم وتعلّم الدين في الأقاليم الهندية-الهولندية وشرح الصدور وإشاعة السعادة بهما و(٢) الارتقاء بطريقة حياة أعضاء المحمدية وشرح صدورهم وإشاعة السّعادة بينهم تماشياً مع تعاليم الدين الإسلامي.»

لقد تبدّت جديّة الدعوة للتّقدّم الحضاري الإسلامي من جانب المحمدية من بواكير نشأتها فيما ألقاه الشيخ المؤسّس على أسماع طالباته في إحدى المناسبات بلغة جاوية محليّة كي يكون الكلام أقرب إلى قلوبهنّ. لقد احتوت كلمات الشّيخ المؤسّس وصايا مبدئية عن التّقدّم الحضاري مفادها : «كونوا معلمات ذوات سلوك حضاري متقدّم، ولا تدخرن وسعاً في ذلك من أجل المحمدية». لقد حوت كلمات الشيخ المؤسّس تلك على إشارات واضحة بأنّ الإسلام التّقدّمي المنشود لابدّ وأن يبدأ بإشعال جذوة العلم والمعرفة التي أصابها الوهن ردحاً من الزمن. وعادت فكرة التّقدّم الحضاري لدائرة الاهتمام مرّة أخرى عبر خطاب الشّيخ ماس منصور أمام المؤتمر المنعقد لمناسبة مرور ربع قرن على تأسيس المحمدية عام ١٩٣٦م في جاكرتا-إندونيسيا.

لقد أكّد الشيخ ماس منصور على مهمّة المحمدية في الارتقاء بمستوى التديّن الإسلامي، والدعوة النّشطة له على نطاق واسع في أوساط الشّعب الإندونيسي. كما أوصى بأن يكون

المقصد الأسمى للعمل في المحمدية هو الاجتهاد في السمو بالدرجة الإنسانية لمعتنقي الإسلام. وفضلاً عن ذلك، شدد المؤتمر السابع والثلاثين لعام ١٩٦٨ الميلادي على أنّ أحد خصائص المجتمع الإسلامي المنشود بالنّسبة للمحمدية هي 'التّقدّم الحضاري'. وبناء على ما سبق فإنّ إعادة الاعتبار لرؤية 'الإسلام التّقدّمي' يعتبر عملاً مستداماً وبناء على ما مضى من مسيرة المحمدية حتى الآن تشكّل تلك الرؤية روحاً دافقة تغذي مسيرة كفاح المحمدية في المستقبل.

إنّ رسالة الإسلام التّقدّمي هي صياغة جديدة تقوي الفكر والحركة اللذين ولدا مع المحمدية من بواكير نشأتها. ومحتوى هذه الرّسالة يتماشى مع ما تمّ اعتماده بصورة رسمية من قبل المحمدية إلى يومنا هذا. ومن تلك الوثائق التي تمّ اعتمادها بصورة رسمية من قبل المحمدية، وتضمّنت إشارات وتأكيدات على رؤية الإسلام التّقدّمي، ما يلي: مقدّمة النّظام الأساسي للمحمدية الصادر عام ١٩٥١م وشروحها؛ ووثيقة القضايا الخمس لعام ١٩٥٥م ؛ وخطة بالمبانغ (Palembang) لعام ١٩٥٦م ؛ والشخصية المحمدية (١٩٦٢)؛ ومتن العقيدة والآمال الحياتية للمحمدية (١٩٦٩)؛ وخطة بونوروجو (Ponorogo) لعام ١٩٦٩م ؛ وخطة أُجُنغ بَندَنْغ (Ujung Pandang) لعام ١٩٧١م ؛ وخطة سورابايا ((Surabaya لعام ١٩٧٨م ؛ ومنهج الترجيح وطريقة إقرار الأحكام في مجلس الترجيح بالمحمدية (١٩٨٩)؛ ومنهج

الترجيح وتنمية الفكر الإسلامي (٢٠٠٠)؛ دليل الحياة الإسلامية لعضو الجمعية المحمدية (٢٠٠٠)؛ خطة دِنْباسارا(Denpasar) لعام ٢٠٠٢م ؛ الاقتراب الثقافي للدعوة المحمدية (٢٠٠٤)؛ الإعلان الفكري للمحمدية في مستهل قرن جديد (٢٠٠٥)؛ الإعلان الفكري للمحمدية في قرنها الثاني (٢٠١٠)؛ دولة المبادئ الخمس (البانشاسيلا – Pancasila) بصفتها دار العهد والشهادة (٢٠١٥)؛ إندونيسيا المتقدمة: إعادة بناء الحياة القومية ذات المعنى (٢٠١٥)؛ ورسالة التنوير (٢٠١٩).

الباب الثاني
المفاهيم الأساسية للإسلام التّقدّمي

المحمدية حركة إسلامية دعوية تحمل على عاتقها مهمّة تحقيق الإسلام التّقدّمي. وهذه المهمّة ليست بدعاً من التديّن الإسلامي إنّما هي إقامة الإسلام الحق في النّفس وبين مخلوقات الله جميعاً. فالإسلام عندما يتمّ فهمه والعمل به حق الفهم والعمل فإنّه سيتمخّض بلا ريب عن خير أمة وعن حضارة من التّفوّق والتّقدّم بمكانة يرنو إليها الجميع. يرجع لفظ «الإسلام» عربياً إلى الجذر اللّغوي (س-ل-م) والذي من معانيه الرّقي والسّمو إضافة إلى الخلو من العيوب والنواقص. فالإسلام حقيقة وحقاً دين يرفع درجات حياة الإنسان ويرتقي بها وفي نفس الوقت يكافح التّردّي الحضاري والفقر والجهل وفساد الخلق.

ويحتم الإسلام التّقدّمي التجديد لأنّ تنزيل تعاليم الدين الإسلامي على الواقع المتغيّر بشكل ينشد الارتقاء والسمو والتميّز الحضاريين لابدّ أن يكون على أهبة الاستعداد دوماً للاستجابة لمتغيّرات الواقع المتجددة دوماً. ومن هنا دور التّجديد الذي يُرجى منه توليد رؤى وحلول جديدة تناسب تحدّيات وحركية الواقع المذكورة. لقد تفاوتت استجابات المسلمين على مرّ التّاريخ تجاه تغير الواقع.

فمنهم من جمد على إرث الماضي ومنهم من شمر عن سواعده معتمداً على فهمه العميق والراسخ لأصول الدين معملاً عقله وطاقته من أجل البحث عن حلول تجديدية لمشكلات واقعه. وفي هذا الصّف تقف المحمدية بنظرتها للتّجديد باعتباره جهداً حقيقياً لإحياء معاني الإسلام السامية بشكل ملتزم دون أن يشكل ذلك أدنى تهديد لوجوده وأصالته وانتشاره وترسيخه في نفوس النّاس.

تطرح المحمدية منظور الإسلام التقدمي كمساهمة منها في وضع الإصر والأغلال التي طالما قيّدت الفكر الإسلامي رافضة التجديد مؤثرة التقوقع على التقاليد دون النظر لمدى موافقتها أو مخالفتها لصحيح الدين وضرورة الواقع أخذا بالاعتبار أن صحيح الدين يستوعب ضرورة الواقع حتما. ومن هنا أهمية العمل بشكل مستمر من أجل استنبات الوعي والتأكيد على أهمية الفهم بالإسلام ديناً ينشد تحقيق مصالح الناس بشكل مستدام ومتوازن عبر تغيّرات الزّمان وتماوجاته. فمسيرة الأمة الإسلامية تعكس حقيقة أنّه في كلّ عصر يظهر فرد أو جماعة يدعون إلى إصلاح وتجديد حياة الأمة. والمحمديّة نشأت من أجل هذه المهمّة. وفي اضطلاعها بتلك المهمّة فإنّ المحمدية تعتبر الإسلام قاعدة انطلاق ونداء واجب التلبية وروحاً مُحيِيَة في مسيرة التّغيير الحضاري الإسلامي والذي يتجسّد في شكل أنشطة المحمدية الفكرية والحركية والخدمية.

٢-١- خصائص الإسلام التقدمي

في إطار سعيها الدؤوب للقيام بمهمّات تحقيق آمال التّفوّق الحضاري الإسلامي والذي يلبي مصالح الإنسانية جمعاء طوّرت المحمدية وجهة نظر تقدّمية حضارية تجاه الإسلام وصاغتها في شكل خصائص خمس للتّقدّم كما يلي.

٢-١-١- مبنيّ على التوحيد

التوحيد هو الاعتقاد اليقيني بأنّ الله سبحانه هو الرّبّ والإله الأحد خالق العالمين ومدبّر أمورهم ولأجل هذا فإنّه يستحقّ العبادة وحده. ويعدّ التوحيد بهذا المفهوم نواة الرسالة التي طالما ما حملها الأنبياء على مرّ العصور. وهو مركز كافة الأنشطة الحياتية للأمة الإسلامية. ينطوي التوحيد على معانٍ عديدة من أهمّها تحرير الإنسان من قيود الشرك والخلط والنسبية بين الأديان. وبهذا المعنى فإنّ التوحيد هو المبدأ المرجعي لجميع الأنشطة الفكرية والعملية للأمة الإسلامية والذي سيتمّ على أساسه مساءلتهم أمام الله سبحانه في اليوم الآخر.

والتّوحيد لابدّ أن يتجسّد في كفاح مستمر من أجل تحرير الإنسان من أغلال الظّلم واستغلال الإنسان لأخيه الإنسان وفي سلوك نقدي تجاه التّفاوت غير العادل للثّروة وتجاه كافة أشكال المنكرات. وفي نفس الوقت يوجب التّوحيد اتّخاذ سلوك إيجابي يتمثّل في نشر بذور الحقيقة والخير مثل السلام

والعدالة والمصلحة المستدامة المتوازنة والرخاء العام. يستحضر التّوحيد الإخلاص في العمل والدّعوة أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر والتخلّص لأقصى حد ممكن من التكبّر ومختلف الذّرائع المستخدمة للاستحواذ على السّلطة الغاشمة والإثراء غير المستحق الدنيوي قصير الأجل رغم ما قد يتلبّس ذلك من قناع الصلاح.

٢-١-٢- الرجوع إلى القرآن والسنّة

يعدّ القرآن الكريم المصدر الأول لفهم الإسلام والعمل به. إنّه مصدر الاعتقاد اليقيني والعلم والأحكام والقواعد والأخلاقيات والإلهام على مرّ الأزمان. هذا، وتعتبر سنّة الرسول -صلّى الله عليه وسلّم-المصدر الثاني بعد القرآن الكريم والتي تقدّم صورة متكاملة عن الأسوة الحسنة واجبة الاتّباع وهو النّبي محمد -صلّى الله عليه وسلّم- الذي كان خلقه القرآن. ومن أجل فهم المصدرين المذكورين يحتاج الإنسان إلى تدبّر معاني النّصوص الواردة فيهما وإلى منهجية تفكير علمية منظومية راقية تراعي قواعد اللّسان العربي والمحكمات من القرآن والسنة المقبولة وإلى مخزون من العلوم الأخرى على نطاق واسع. وكلّما ازدادت حصيلة الإنسان من العلوم وكلّما اتّسع أفق عقله كلّما ازدادت حصيلة فهمه من المصدرين المذكورين. والإسلام الذي مردّه إلى القرآن والسنة يدعو إلى الحق وإلى البر ومن ثم فإنّ كل مسألة يتمّ عرضها على هذين

المصدرين يجب أن يتمّ الإجابة عليها من منظورين متكاملين: الحق والباطل من جهة والخير والشر من جهة أخرى.

٢-١-٣- إحياء الاجتهاد والتجديد

الاجتهاد هو استفراغ الوسع فكراً وقولاً وفعلاً من أجل فهم معاني الوحي (القرآن والسنة). ويتمّ إحياء الاجتهاد من خلال استثمار الإمكانات العقلية والعلوم بمختلف فروعها والتّقنيات بكافة تطبيقاتها والذي يتمّ القيام به بشكل مستدام من أجل تقديم فهم للّدين وفق مقاصده من أجل إيجاد حلول ناجعة لمختلف المشكلات التي تواجه الإنسانية. والاجتهاد لا يتوقف عند حدود التفكير في فهم الدين لكنّه يمتدّ ليشمل الطرق التي يمكن من خلالها تحقيق تعاليم الدين في مختلف ميادين الحياة سواء الفردية أو الاجتماعية أو على مستوى الأمة الإسلامية أو الأمة القومية وصولاً للإنسانية جمعاء.

والاجتهاد منهج أساسي في القيام بالتّجديد الذي ينطوي على إعادة إحياء الدّين عن طريق تنقيته مما علق به من شوائب أو عن طريق تنزيله بشكل مناسب على الواقع المتغير سواء لجهة الفهم أو لجهة التطبيق. ومجال التنقية غالباً هو العقيدة والعبادات المحضة بينما تعتبر الأخلاق والمعاملات الدنيوية مجالاً خصباً لحركية (ديناميكية) التّديّن سواء عن طريق تحسين الفقه أو تحديثه. وتبدو الحاجة ملحة للتّجديد من أجل مواجهة

التّحديات الحضارية عبر الأزمان وفي نفس الوقت تحقيق الآمال الكبرى للحضارة الإسلامية. والتّجديد بهذا المعنى هو عمل لا ينقطع من أجل تحقيق تلك الآمال في جميع ميادين الحياة فكراً وسياسة واقتصاداً واجتماعاً وتربية وثقافة وغيرها.

٢-١-٤- تنمية الوسطية

ينصّ القرآن الكريم على أنّ الأمّة الإسلامية «أمة وسطاً». والوسطية في هذا السياق هي وسطية جغرافية إذ ذُكر هذا الوصف على إثر ذكر آية تحويل القبلة. وهي وسطية في الاعتقاد والأخلاق والمعاملات كذلك. وترتبط صفة الوسطية بواجب 'الشّهادة على النّاس' (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على النّاس – البقرة:١٤٣). والوسطية والشهادة يستلزمان الاستقامة والتّفوّق لا محالة. والإسلام باعتباره ديناً للوسطية يرفض التّطرّف والغلوّ في الدّين أو في التّعامل الاجتماعي سواء كان في شكل إفراط أو تفريط. الوسطية تعني أيضاً الموقع المتوسّط المتوازن بين قطبين متباعدين هما الإغراق في المحافظة على التّقاليد من جهة والتّحرّر الكامل من كلّ القيود من جهة أخرى. كما تتطلّب الوسطية موقفاً متوازناً بين احتياجات الحياة الفردية والاجتماعية بين الجسد والروح وبين الدّنيا والآخرة. ومن الجدير بالذّكر أنّ الوسطية بهذا المعنى لا تعني التّسامح تجاه العالمانية السياسية والسيولة الأخلاقية.

ولأنّ الإسلام دين الوسطية فلزم من ذلك أن تكون الوسطية خصيصة بارزة للأمة الإسلامية سواء على المستوى الفكري أو العملي. وتتجسّد الوسطية (التّوازن) في المحيط الاجتماعي عبر مسالك عدّة أهمّها: (١) سعة الوعي، ولين العريكة مع الحزم في الحق؛ (٢) الفهم العميق الشامل للواقع وأولويات العمل تجاهه ؛ (٣) تقدير اختلاف الآراء؛ (٤) تجنب التّعصّب المُفرط تجاه جماعات أو تيارات دينية بعينها؛ (٥) رفض تكفير أهل القبلة؛ (٦) العمل على تقدم المجتمع حضارياً وإدخال السّعادة عليه؛ (٧) تيسير ممارسة التعاليم الدينية.

٢-١-٥- تحقيق الرحمة للعالمين:

يقول الله سبحانه: «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين – الأنبياء:١٠٧». فالإسلام دعوة لنشر الرّحمة على ربوع الكون بأكمله. وبناء عليه فإنّ كل مسلم يحمل على عاتقه واجب تجسيد تلك الرّحمة واقعاً فكرياً وخطاباً وممارسة وعياً بما يمرّ به كوكبنا من أزمات طبيعية ونفس-اجتماعية شتى حيث ينتشر الظّلم وانعدام التّوازن. فإنّ مسلم اليوم يجب أن يحضر فاعلاً مبادراً لمقاومة الظلم ودعم الرخاء العام وتنوير النّاس وترقية أحوال العالم سواء للبشر أو لكافة مخلوقات الله الأخرى من حيوانات ونباتات وموارد طبيعية ونظم حيوية متكاملة.

٢-٢- منهجية الإسلام التقدمي

من أجل فهم معاني التّعاليم الدينية وتطوير الفكر الديني بشكل صحيح دائماً ما يحتاج المرء إلى منهجية تحدّد مصادر المعرفة وطرق معالجتها ومعايير تطبيقها وأخلاقيات الباحث فيها ومنهجية الإسلام التّقدّمي تصون فهم النّصوص وتدبّر معانيها وتطوير الفكر الديني عن مزالق الهوى والظّن والتّقليد الأعمى جاعلة من ذلك الفكر قابلاً للاختبار وتحمل المسؤولية العلمية بناء على المبادئ الدينية والعقلية الرشيدة الأساسية.

٢-٢-١- مصادر التّعاليم الإسلامية

يعدّ القرآن الكريم والسنّة النّبوية المطهّرة المصدرين الأساسيين للتّعاليم الإسلامية. ويعتبر مبدأ «الرجوع إلى القرآن والسنة» تأكيداً على مركزية هذين المصدرين في صياغة الرّؤى وتطوير الفكر الدّيني الإسلامي ومن بينها رؤية الإسلام التّقدّمي. ويتمّ الكشف عن المعاني الكامنة في هذين المصدرين من خلال الاستفادة من منطق العقل والتّراث الفكري وفروع العلوم المختلفة من غير تقيد بمذهبٍ أو رأيٍ معينٍ من تشكيلة المذاهب والآراء الإسلامية التي تشكّلت على مدار تاريخ الحضارة الإسلامية. هذا, ويمكن فهم القرآن والسنة وشرحهما من خلال الطريقة البيانية وهي التفسير أو الشرح الأساسي على النّص، والذي يستخدم القواعد اللغوية.

ويمكن ذلك الفهم أيضاً من خلال الطريقة التعليلية وهي الفهم من خلال النّظر العقلي أو القياس بين قضيّة معينة طارئة وأخرى من زمن تنزل الوحي بناء على تشابه علّة الحكم بينهما. كما يمكن تحقيق ذلك الفهم كذلك من خلال طريقة الاستصلاح وهي صياغة التّعاليم الإسلامية المعينة بناء على اعتبار المصالح. وبينما يتمّ اعتبار مبادئ القرآن والسنة قواعد راسخة (ثوابت). فإنّ فهمها وتطبيقها وتجسيد تلك المبادئ تتمتع بإمكانية التغيّر وفقاً للظروف والأحوال.

والسّنة المطهّرة التي تعدّ المصدر الثاني للتّعاليم الإسلامية هي السنّة المقبولة والتي يعتقد يقينياً أنّها جاءت عن النّبي محمد -صلّى الله عليه وسلّم-. والسنّة المقبولة تنقسم إلى أحاديث صحيحة لذاتها وصحيحة لغيرها حيث تتقوى بمساعدة أدلّة أخرى معضدة لها وأحاديث حسنة لذاتها وأخرى حسنة لغيرها.

٢-٢-٢- أبعاد التعاليم الإسلامية

يهيمن دين الإسلام على جميع أبعاد الحياة الإنسانية تعليماً وتنظيماً وهداية. وتنقسم تعاليم الإسلام بشكل عام إلى عقائد وعبادات وأخلاق ومعاملات دنيوية. وتعاليم العقيدة تتعلّق بقضايا الإيمان الأساسية التي يجب أن يوقن بها المسلم. وترجع العقائد في جملتها إلى الوحي الشريف (قرآناً وسنة) ويجب أن تكون خالية من كافة أشكال الشرك والأوهام والخرافات كما

يجب أن تنأى بنفسها عن أي اعتقادات لا يوجد لها أصل في الوحي الشريف. وإعمال العقل الرشيد في مسائل العقيدة كما يتّضح في تراث علم الكلام هو جهد لا بأس به طالما ظل ملتزماً بقيم التوحيد الأساسية. ومن جانب آخر تعدّ العبادات بمعناها الخاص (العبادات المحضة) أحكاماً شرّعها الله سبحانه بتفاصيل وهيئات ومقادير معينة لخضوع العبد المؤمن لله سبحانه ولابدّ من القيام بها وفق تلك الأحكام بتفاصيلها مع النأي بالنّفس عن الابتداع فيها.

وفي نفس الوقت يظلّ هناك هامش من الاجتهاد واختلاف الآراء لدى قيام الفقهاء المجتهدين بفهم أحكام العبادات. وأمّا الأخلاق فإنّ التّعاليم الإسلامية الخاصة بها تتعلّق بالمبادئ المعيارية التي تميّز بين المكرّمات والرّذائل سواء على مستوى العلاقة مع الله سبحانه أو مع النّاس أو مع المخلوقات الأخرى من حيوان ونظم حيوية مختلفة.

أمّا التّعاليم الخاصة بالمعاملات فهي المختصة بهداية النّاس لإدارة شؤونهم بأفضل شكل ممكن وتطوير حياة المجتمع تماشياً مع مبادئ الدّين. والمعاملات هي عبادة لله سبحانه بمعناها الواسع. وفيما يخصّ تعاليم الأخلاق والمعاملات فإنّ هناك هامشاً واسعاً للاجتهاد سعياً للاستجابة المثلى لمتغيّرات الأزمان والأمكنة بناء على المصلحة الشاملة المتوازنة المستدامة التي لا تعارض مبادئ الدّين. وإذا ما تمّ القيام بالأبعاد الأربعة المذكورة للتّعاليم

الإسلامية بشكل جادّ وبالجهد في طلب هداية الله سبحانه فسوف تسفر عن قوة وافرة يحتاج إليها المسلم اليوم من أجل تحقيق الآمال العريضة للإسلام التّقدّمي.

٢-٢-٣- اقترابات ثلاثة لفهم تعاليم الدين الإسلامي

تستخدم ثلاثة اقترابات من أجل فهم التّعاليم الدينية الإسلامية وهي الاقتراب البياني أي باستخدام النصوص والبرهاني أي باستخدام العقل والعرفاني أي باستخدام القلب.

أمّا الاقتراب البياني فيستخدم من أجل فهم التّعاليم الدينية على أساس هدايات النّص أو الخطاب القرآني والحديثي. ويعتبر الاقتراب البياني الاقتراب الأساسي لفهم الدين. وإذا كان المرجع الأساسي لفهم التعاليم الدينية يكمن في الوحي الشريف فإنّ العقل يضطلع بربط القضايا الجديدة مع الأحكام التي حوتها نصوص الوحي الشريف.

وهنا يأتي دور الاقتراب البرهاني الذي يوظف العقل الرشيد والحجة المنطقية والبحث العلمي وكافة فروع المعرفة العلمية جنباً إلى جنب مع الخبرة العملية من أجل فهم التعاليم الدينية وربطها بالقضايا الجديدة الّتي لم يتمّ النّص عليها بشكل تفصيلي في الوحي الشريف.

أما الاقتراب العرفاني فإنّه يؤكّد على العمق الروحي وحساسية الضمير الإنساني وحِدّة الحدس ومِران الذوق الحكيم.

وفي التّراث الإسلامي تسمى الخبرة العرفانية الباطنية هذه بالذوق أو البصيرة أو الوجدان أو السر. هذا، ويركز الاقتراب العرفاني على عمق الخشوع الروحي وأخلاق الرعاية تجاه خلق الله والحكمة من أجل تعزيز المصلحة ودرء المفسدة فضلاً عن تجنّب الشّبهات والمحرّمات.

هذا ويتم توظيف تلك الاقترابات الثلاثة (البياني والبرهاني والعرفاني) من أجل فهم التعاليم الإسلامية من أجل النّظر في مختلف القضايا وتكوين رؤية متكاملة ومعمّقة وشاملة عنها. ويمكن تبيّن استخدام تلك الاقترابات بكمال في العديد من الأعمال الفقهية والفكرية التي أصدرتها المحمدية حتى الآن. ومن تلك الأعمال: فقه البيئة وفقه الكوارث وفقه الرّخاء الاجتماعي وفقه الحوكمة وفقه الزكاة المعاصر وفقه الماء وفقه ذوي الهمم (ذوي الاحتياجات الخاصة) ورسالة الأخلاق الإسلامية فضلاً عن تفسير التنوير.

٢-٢-٤- الاجتهاد المستدام

يعدّ الموقف الإيجابي من الاجتهاد شرطاً مسبقاً لتحقيق التّقدّم الفكري الإسلامي. ويمكن إرساء ذلك الموقف على مبادئ عدّة أهمّها: (١) أن تكون عملية الاجتهاد موجّهة بشمولية الإسلام وعالميته (٢) أن تكون عملية الاجتهاد متحرّرة من قيد التّقليد الأعمى للمذاهب والتّيارات المنتشرة في الأمّة (٣) الانفتاح على

الاختلاف الفكري والتسامح معه.

هذا، ويعدّ الاجتهاد ضرورة تماشياً مع طبيعة الحياة الّتي ما فتئت تتغيّر شخوصها وأحداثها وسياقاتها والّتي لا يجد لها الفقيه أحكاماً تفصيلية مباشرة من الوحي الّذي توقّف مع وفاة النّبي -صلّى الله عليه وسلّم-. وطالما كان الاجتهاد ممارسة مستمرّة على مدار التّاريخ الإسلامي حيث اعتمد العلماء إلى استفراغ الوسع العلمي والعملي من أجل فهم الواقع المتغيّر والتّعامل معه وفق نصوص الدّين وقواعده الراسخة التي تصلح لكلّ زمان ومكان. وبناء عليه فإنّ استكمال مسيرة الاجتهاد وخاصّة في عالم يشهد تعقداً متزايداً وتداخلاً بين علومه وأحداثه وسياقاته هو أمر لا مندوحة عنه. والاجتهاد المنشود اليوم كما كان بالأمس هو عملية تكاملية بين الآيات القولية المسطورة في الوحي الشريف والآيات الكونية المبثوثة في الأنفس والآفاق وبشكل يراعي تطوراً متسارعاً لا مثيل له.

وفي مواجهة التعقيد الحياتي المتزايد اليوم واستفادة من تطوّر العلوم الهائل فإنّ إحياء الاجتهاد لم يعدّ مجرّد إعادة الاعتبار لمفهوم الاجتهاد فقط بل ينطوي أيضاً على تطوير اقترابات جديدة لعملية الاجتهاد. فمثلاً، تماشياً مع تشابك العوامل المسبّبة للتّحديات الحضارية اليوم ومع تداخل العلوم وتكاملها واعتمادها المتبادل فإنّ الاجتهاد الجماعي يبدو أمراً لا مناص منه.

ومن جهة أخرى، ومع تزايد تمكين المرأة والطوائف الأخرى المشكلة لمجتمعاتنا اليوم فإنّ الاجتهاد التّشاركي الذي يجمع بين الرجال والنساء وأهل الخبرات المختلفة من الخلفيات المهنية والطبقية والعرقية المتباينة أصبح أمراً ملحاً. والاجتهاد اليوم كما كان دوماً يعوّل عليه فكّ الاشتباك بين الآراء الدينية المتصارعة؛ وذلك حين يفرّق بين الثّوابت والمتغيّرات عبر تمييز القواعد الأبدية في الدين عن الأحكام المتغيّرة التي تستجيب للسّياقات المتطوّرة باستمرار.

٢-٢-٥- العقل والعلوم المكتسبة

العقل هبة الله سبحانه للإنسان من أجل فهم آياته القولية المسطورة في الوحي وآياته الكونية المبثوثة في الأنفس والآفاق. ومن ثمّ وجب على الإنسان تعظيم الاستفادة من العقل لأقصى حد ممكن. وينصّ القرآن الكريم على أنّ الله سبحانه سوف يري آياته للنّاس في الأنفس والآفاق حتّى يتبيّن لهم أنّ الوحي حقّ من عنده (فصلت-٥٣). وفي ذلك إشارة لتكامل المعرفة الإسلامية بين الوحي والعالم ومركزية العقل في الربط بين آيات الله فيهما.

وهو خصيصة جوهرية في الفكر الإسلامي على مدى تاريخ الحضارة الإسلامية. لكن غبار التخلّف الحضاري الذي غطى على تلك الخصيصة ردحاً من الزمن آن له أن ينقشع عبر إعادة الاعتبار لدور العقل والوحي معاً نحو توليد علوم منطقية منظومية تلتزم

قيم الوحي الخالدة؛ تلك القيم التي لا تعارض بل تدعم بشكل كلي والتفكير العلمي وشريطة تخلّصه من الأهواء والظنون التي لا أساس لها والتّقليد الأعمى. ومن شأن إطلاق العنان للتّفكير العلمي الإسلامي أن يمنح المسلمين والبشرية جمعاء ثروة لا نظير لها من التّطبيقات والتّقنيات التي ترتقي بجودة الحياة وتحقّق التّقدّم الحضاري في أسمى معانيه.

إنّ العلم والتّقنية لهما دور رئيسي في التّقدّم الحضاري ويعدان ميّزة كبرى للإنسان ولذا وجب الاجتهاد لتطويرهما وتعظيم الاستفادة منهما. وبشكل عام يقوم العلم بأدوار كبرى في حياة البشر من أهمّها: مساعدة النّاس على فهم القضايا التي يتعاملون معها رأي العين أو تلك التي تغيب عن حواسهم المباشرة من أجل تيسير حياتهم وجعلها أكثر رقياً حضارياً؛ والعلم للإنسان المتديّن يعينه على القيام بعملية قياس الأحكام بشكل منضبط إذ يتمكّن من الكشف عن أحكام جديدة تتّفق مع أصول الدين لقضايا لم يتمّ ذكرها بشكل تفصيل صريح في نصوص الوحي؛ وللعلم أيضاً دور في دعم الإيمان عندما يصدّق العقل الخبرة والمشاهدة من بعد اجتهاده وبحثه ما آمن به قبلا عبر النّصوص الدينية الخالدة؛ وللعلم وظيفة اجتماعية إذ يعمل على جسر الفجوات بين الآراء المختلفة تجاه الوحي وتجاه قضايا الواقع؛ وبشكل عام يسهّم العلم إسهاماً فعالاً في الارتقاء بالمستوى الحضاري للأمّة وللإنسانية جمعاء.

ويعدّ تطوير العلم والتّقنية ومن وجهة نظر إسلامية تنفيذاً لواجب عمارة الأرض كما تنصّ على ذلك آية سورة هود:٦١. ويجب كذلك توظيف العلم والتّقنية في فهم والعمل بالتّعاليم الدينية. وفي هذا الإطار لا ينبغي مطلقاً محاولة وضع الدين أو العلم في موقف يناقض فيه أحدهما الآخر خاصة الدين الإسلامي الذي ينصّ على أهمية تكامل المعرفة الدينية والعلمية جنباً إلى جنب في مواضع كثيرة مثل: فصلت:٥٣، فاطر:٢٨، الإسراء:١٠٧، الحج:٥٤.

ومن هنا، فإنّ التّديّن الإسلامي الذي يتّخذ موقفاً معارضاً للعلم والتّقنية هو تديّن متخلف عن ركب التّقدّم بمعيار الإسلام نفسه وكلّما ازداد المرء علماً كلّما انفتحت له أبواب الفهم والتعمّق في مزايا وثراء التّعاليم الإسلامية. وبالعكس كلّما ضاق وعي المرء قلّت فرص تعرّفه وفهمه وعمله بشكل لائق بالتّعاليم الإسلامية.

وهناك العديد من القضايا المعاصرة الّتي تتبدى فيها الحاجة الماسّة لتكامل المعارف العلمية والتّقنية جنباً إلى جنب إلى المعارف النصّية الدّينية. فعلى سبيل المثال يقف علم الحساب الفلكي شاهداً على ذلك التّكامل وذلك في اجتهاده من أجل صياغة روزنامة إسلامية. فمثل ذلك التّكامل يساعد في رفع الخلاف بين الآراء المختلفة حول فهم نصوص دينية بعينها.

ومن الجدير بالذكر التأكيد على أنّ تطوير العلوم والتّقنية يحتاج دوماً إلى أساس قيمي يضبط حركيته ويرسم غاياته من

أجل خدمة مصلحة الإنسان والبيئات المحيطة به دون الوقوع في خدمة ثُلة قليلة من ذوي النّفوذ غير العادل. وفي هذا الإطار تبرز قيم التّوحيد والعبادة والاستخلاف والعلم الحق؛ تبرز قواعد راسخة لتحديد معنى وجود العلم (الأنطولوجيا) ومنهجيته الأساسية (الابستمولوجيا). وفي نفس الوقت تبدو تلك القيم أساساً متيناً لتحديد نظرية القيم (الأكسيولوجيا) لضبط حركة تطبيق نتائج ذلك العلم من أجل عملية تغيير اجتماعية تنشد تحقيق المصلحة العامة المتوازنة والمستدامة وهو الشكل للمجتمع الإسلامي الحقيقي.

٢-٢-٦- الموقف من المذاهب الإسلامية

على مدار تطوّر تاريخ الحضارة الإسلامية ظهرت وتطوّرت العديد من المذاهب التي عبرت عن اجتهاد العلماء من أجل فهم تعاليم الدين الإسلامي بشكل متكامل وتطبيقها بشكل مناسب. وبرزت تلك المذاهب أكثر ما برزت في ميادين الفقه والعقائد والتصوّف. ويعدّ المنجز العلمي لتلك المذاهب مجتمعة خزاناً من الثروة الفكرية والعملية الإسلامية ومن الأهمية من أجل دراسته والاعتماد عليه والاستئناس به والاستفادة منه. وإزاء ذلك الخزّان الهائل تظلّ هناك احتمالات عديدة يقوم بها مجتهد اليوم؛ فهو إما يختار الرأي الذي يعتبره أقوى الآراء من بين آراء تلك المذاهب أو يصدر فتاوى جديدة لم يسبقه أحد إليها أو يعدل على إحدى

الفتاوى السابقة وكلّ تلك الاحتمالات تظلّ مفتوحة ومرحّب بها شريطة الالتزام بقواعد الاجتهاد العلمي المترفع عن الأهواء والمصالح الضيقة. وقبول تلك الاحتمالات يعبّر عن سلوك تحرري من ضيق التّحيزات والتّعصّب تجاه مذهب أو طائفة بعينها.

وإزاء تنوّع المذاهب والآراء الإسلامية فإنّ خيار التّرجيح (اختيار الرأي المستند إلى الأدلّة الأقوى) يعدّ الخيار الأكثر فعالية خاصّة عند استفراغ وسع المجتهد في المقارنة بين الأدلّة والجمع بين المتعارض منها واعتبار المصالح المتوازنة والمستدامة. ولدى الانتهاء من عملية التّرجيح فإنّ المجتهد مع تيقنه من خياره العلمي إلاّ أنّه يقدّر ويحترم آراء الآخرين الملتزمة أيضاً بقواعد البحث العلمي ومقاصد الدّيانة العليا. ويعدّ ذلك السلوك المجتهد المقدّر لاجتهاد الآخرين تجسيداً لقيمة الأخوّة الإسلامية التي تعدّ من كليات السلوك الإسلامي القويم.

وفي مجال التصوّف يطرح الإسلام التّقدّمي رؤية مشابهة مع مسلك عدم التّعصّب المذهبي. فالتّصوّف ذو الصّبغة الحضارية الراقية هو تصوّف أخلاقي وإحساني واجتماعي دونما تحيّز ضيق جامد إلى طريقة صوفية بعينها. فالصّوفي الذي يضع الرقي الحضاري نصب عينيه تراه يستحضر تصوّفه في المجال العام اليومي عبّر الصلاح الفردي والجماعي من غير حصره في العبادة المحضة ولا الانعزال عن النّاس. فسلوك إكرام الآخرين والحفظ على بساطة العيش والبعد عن مظاهر الترف المبالغ فيه كلّها

تعدّ تجسّدات لهذا النّوع من التّصوّف. إنّه التّصوّف الذي يطرح نفسه روحاً دافعة واسعة الأفق تتخلّل جميع مجالات الحياة من أجل الدّفع بالحضارة قدماً على كافة المستويات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والقانونية بصورة تضمّن التّقدّم المادي والروحي معاً.

٢-٢-٧- مقصد الكرامة الإنسانية

لقد كرّم الله سبحانه الإنسان حين خلقه في أحسن تقويم وحين استخلفه في الأرض واستعمره فيها وفي المجتمعات التي تتنوّع فيها الخلفيّات العرقية والدينية والطائفية والطبقية تزداد الحاجة إلى التأكيد على تلك الكرامة الأصيلة للإنسان.

وطبقاً للتصوّر الإسلامي خلق الله الجميع بفطرة متساوية على التوحيد على حين يحدّد الجدل بين الإنسان الواعي وبيئته المحيطة مصيره اللاحق إمّا بتنمية تلك الفطرة أو الارتكاس عنها. والتّقدّم الحضاري الإسلامي ينطوي على إبراز مهمّة الدّين في الارتقاء بمرتبة الإنسان المادية والروحية معاً وذلك عبّر تنمية العلوم والأخلاق الكريمة والرخاء العام ونشر العدالة والسّلام والتّقدير المتبادل للإنسانية. ومن جهة أخرى يؤكّد الإسلام على أنّ قيمة الإنسان لا تتّحدّد وفق جنسه ولا لونه وإنّمّا وفق جودة قلبه وسلوكه (التّقوى) وخير النّاس أنفعهم للنّاس.

الباب الثالث
الإسلام التّقدّمي: حركيّات التّغيير

تعتبر المفاهيم الأساسية للإسلام التّقدّمي الأساس الراسخ الذي ينهض عليه البناء الفكري والتّنظيم الأساسي والحركة النشطة والخدمة العامة للجمعية المحمدية؛ وكلّ ذلك من أجل تحقيق مقصد الارتقاء بمستوى حياة الأمّة الإسلامية والمجتمع والشعب الإندونيسيين والإنسانية جمعاء. وتلتزم الجمعية المحمدية بجميع هيئاتها بترجمة تلك المفاهيم الأساسية إلى أنشطة تتدفق عبر جميع شرايين الحياة الإنسانية. والمحمدية إذ تقوم بذلك فإنّها تعتقد اعتقاداً جازماً بأنّ الإسلام التّقدّمي هو حاجة ضرورية لجميع أفراد الأمّة الإسلامية لإحياء دورها الخيري والرائد لأنّه ينهض على أُسس الدين الإسلامي القويمة الأصيلة من جهة ومراعاة للأزمة الحضارية متعدّدة الأبعاد التي تمرّ بها الأمة راهناً.

٣-١- الحركة الدعوية

أرسل الله سبحانه نبيه محمدا -صلّى الله عليه وسلّم- ليكون داعياً إليه وسراجاً منيراً (الأحزاب:٤٦) ليُخرج النّاس من الظّلمات إلى النّور (إبراهيم:١). والأمة الإسلامية بوصفها خليفة عن رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- في أداء رسالته عليها واجب

استكمال مسيرة الدّعوة. ومن جانب آخر تعدّ الدعوة إلى الله مهمّة من مهام الخلافة في الأرض والأمانة التي حملها الإنسان وكلّ هذا من أجل الارتقاء بمستوى الحياة والمخلوقات أو ما تطلق عليه هذه الرسالة.

٣-١-١- النّشاط الدّعوي تجسيد للأمانة التي أوكلها الله للإنسان

الدّعوة هي أحد أوجه النّشاط الساعي لإحداث تغيّر إيجابي شامل في الحياة الإنسانية وما حولها من بيئات وهي بذلك تتموضع داخل مفهوم الأمانة التي حملها الإنسان (الأحزاب:٧٢) لإعمار الأرض. وتزداد فرص نجاح الإنسان في اجتياز اختبار الأمانة عندما يصير الإنسان عبداً لله يُسلم نفسه إليه سبحانه وينقاد لهداياته وأوامره الحق.

ويتعضّد دور الإنسان ذلك عندما يصير الإنسان خليفة في الأرض يحفظ الحياة فيها ويعمّرها كي تصير مناسبة لاستدامة العيش فيها سواء للإنسان أو لغيره من المخلوقات. ومسيرة كفاح النّبي محمد -صلّى الله عليه وسلّم- تجسّد تحقيقه لهذه الأمانة عبر مسيرة دعوته التي لم يدخر فيها وسعاً لترقية مستوى حياة أصحابه والأجيال اللاحقة من المسلمين بل وباقي شعوب البسيطة ومخلوقاتها. لقد كان عنوان رسالة النّبي محمد إخراج النّاس من الظّلمات إلى النّور ونشر الرّحمة على العالمين (الأنبياء:١٠٧).

منذ اللحظات الأولى لبعثته -صلّى الله عليه وسلّم- وهو يجتهد في دعوة النّاس للعلم المتكامل بين الآيات الكونية والقولية (العلق:١) وتنقية طرق التّفكير والاعتقاد من الأوهام والتّقليد الأعمى (لقمان:٢١). وامتلأت الحياة الاجتماعية بين أصحابه في مكّة بالمؤاخاة والإيثار وعندما هاجر النّبي إلى يثرب كان نشاطه الأول هو توحيد البيت الداخلي من خلال المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار من جهة وعبر عقد المعاهدات بين مختلف القبائل وبين المسلمين وأتباع الديانات الأخرى من جهة أخرى.

وأردف -صلّى الله عليه وسلّم- ذلك بإجراءات مؤسّسية لإرساء العدالة والمساواة في الفرص. وكان النّور الهادي لكلّ تلك الأنشطة هو التوحيد الصافي حتى إنّ يثرب قد تغيّر اسمها بعد هجرته -صلّى الله عليه وسلّم- إليها، فأصبحت 'المدينة المنورة'. وإزاء هذه الخبرة التاريخية المؤسِّسة للحضارة الإسلامية وما تبعها من سلوك أصحابه -رضي الله عنهم- والتابعين والقرون المتتالية التي كانت فيها الأمّة الإسلامّية خير أمة أُخرجت للنّاس.

وإزاء تلك الخبرة يجد مسلمو اليوم أنفسهم إزاء واجب إعادة إحياء ذاك النّشاط الدّعوي. وعلى أعتاق مسلمي اليوم تقع المسؤولية الدعوية التي تتخلّل جميع ميادين الحياة ترقية وتنويراً لها وقيادة للنّفس والنّاس أجمعين نحو رضا الله سبحانه. ومن جانب آخر لا تختص الدعوة المنشودة بنشر القيم الإيجابية من إيمان وعدل وسلام وكرامة إنسانية فحسب وإنّما تختصّ

تلك الدعوة بالعمل على تحجيم كافة أشكال الشّرك والجاهلية والظّلم وضيق الأفق.

٣-١-٢- الدّعوة نشاط تنويري، دون إكراه، وهي أمر بالمعروف ونهي عن المنكر

من وجهة نظر الإسلام التّقدّمي تعدّ الدعوة نشاطاً تنويرياً يهدف إلى تغيير حياة النّاس نحو الأفضل. وتستهدف الدّعوة جماعتين كبيرتين من النّاس هما : (١) أمّة الإجابة, هم المسلمون بوجه عام، و (٢) أمّة الدعوة, هم غير المسلمين الذين يُرجى إيمانهم.

وغاية الدّعوة في حالة الجماعة الأولى هي العمل على ترقية جودة تديّنهم. أما غاية الدّعوة في حالة الجماعة الثانية فهي تعريف النّاس بالدّين وتهيئة البيئة المناسبة لهم لقبول هدايات الله سبحانه وصولاً لبيان حقيقة الإسلام وأحقيّته وتفصيل محاسنه ومنافعه بالنّسبة لهم في الدّنيا والآخرة. ومن أجل تحقيق تلك الغايات يجب أن تتحلّى الدّعوة بخصائص أهمّها التّعامل الإنساني والإقناع بالأدلّة والبراهين الواضحة (على بصيرة) من غير إكراه ولا إثارة للعداء.

وفي حال رفَض المدعوّون الدّعوة فإنّ ذلك الرّفض لا يجوز بحال اعتباره ذريعة لإهدار كرامتهم بل يظلّون موضع الاحترام والتّقدير الإنساني مع الاحتفاظ لهم بحقّ الاختيار الديني الحرّ.

والدّعوة التّنويرية من منظور الإسلام التّقدّمي في شكلها التّطبيقي حثٌّ على الخير عن طريق الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر. فالأمر بالمعروف حثٌّ على القيام بواجبات الدين وأعمال البر وفقاً لقواعد الدّين السمحة. والنّهي عن المنكر درء لكلّ ما من شأنه الإضرار بالقيم الأساسية الإنسانية وفق هدايات الشّريعة الغراء. والدّعوة بهذا المعنى هي واجب على الأمّة ككل سعياً لنيل درجة الخيرية (خير أمة أخرجت للناس – آل عمران:١١٠). ويجب أن ينهض بواجب الدّعوة أصحاب التّأهيل المناسب للقيام بذلك كلّ حسب مكانه ومكانته (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير – آل عمران:١٠٤). ومن الجدير بالذّكر أنّ أهل الدّعوة هم أهل الفلاح والتّقدّم الحضاري الحق في الدّنيا والآخرة (آل عمران: ١٠٤).

٣-١-٣- دعوة ذات اقتراب ثقافي

وفي إطار سعيها الدؤوب لتنوير الأمّة الإسلامية والإنسانية، تتّخذ المحمدية طريق الدّعوة ذات الصّبغة الثّقافية. وتهدف تلك الدّعوة إلى الاستجابة لتحديّات الواقع بشكل ملائم وإلى بذل التّقدير اللازم للثّقافات المتباينة مع السعي لتجديدها وإصلاحها نحو صياغة ثقافة جديدة تتماشى ورسالة الإسلام السامية في نشر الرّحمة للعالمين. وتستثمر المحمدية كافة إمكانات الدّعاة في سبيل ذلك وهذا من أجل أن تكون الدّعوة نشاطاً حياً مؤثراً يشرح صدور النّاس ويضفي السّعادة على كافة أبعاد حياتهم.

ومثل هذه الدّعوة ليست بدعاً من تاريخ الإسلام الحضاري، فقد قام بها النبي محمد -صلّى الله عليه وسلّم- ومن بعده أصحابه والتابعون والعلماء المخلصون وهو الأمر الذي أدّى لنشر شعور التعاطف الإيجابي مع الإسلام.

والدّعوة ذات الأساس الثّقافي تعطي الأولوية لحوار الدّين مع الثقافة حيث يُنظر للتغيّر الاجتماعي المرجوّ من الدّعوة باعتباره عملية ذات خطوات عديدة وطويلة الأمد. ومن خلال ذلك الحوار يتولّد نمط الحياة المأمول بصورة أكثر قرباً للعقل الجمعي الفطري. وبشكل طبيعي تدريجي سوف يسهم ذلك في القضاء على كافة أنواع المعاصي والشرك والأوهام والخرافة. والدّعوة الثقافية لا تتّخذ من الثّقافات المحليّة الفرعية هدفاً مباشراً لها بقدر ما تهتم بالثّقافة العامة المهيمنة عليها. وتهدف الدّعوة من هذاالطراز إلى ترقية جودة حياة الإنسان نفسياً واجتماعياً كي يكون مؤهّلاً لتلقي هدايات الله سبحانه بالرضى والقبول.

٣-١-٤- الدّعوة في أوساط التّنوّع الاجتماعي-الديني

تواجه دعوة التنوير من وجهة نظر الإسلام التّقدّمي حقيقة تنوّع الواقع الديني-الاجتماعي الذي يزداد تعقيداً مع مرور الوقت. فضلاً عن مواجهة تنوّع الأديان تواجه الدّعوة أيضاً تنوّع المذاهب والتّيارات الدينية فضلاً عن تنوّع الثقافات والأعراق ومكونات

الأمة الإندونيسية المتعدّدة. وتحتاج الدّعوة في ظلّ التّنوّع إلى إدارة رشيدة تحول دون تحوّل ذلك التّنوّع إلى صراعات طويلة الأمد.

وفي ظلّ هذه الأجواء تظلّ الدّعوة التّنويرية مهمّة واجبة الأداء من لدن الأمّة الإسلامية وفي نفس الوقت يتّسع صدر العاملين بها للعيش المشترك جنباً إلى جنب مع المجموعات الدينية والعرقية والثّقافية المختلفة. والإسلام يثمّن التّنوّع وينظر إليه باعتباره سنّة من سنن الله سبحانه في الخلق (المائدة:٤٨). ومن ثمّ يصير سلوك الصبر والحكمة بين تلك المجموعات المتنوّعة أمراً ضرورياً. وعندما يتمّ إغفال هذه الحقائق ولا يتمّ إعداد الدّعاة وأفراد الأمة للعيش المشترك هذا فإنّ الأمر ينقلب إلى صراعات ممتدّة وهو ما لا يهدف إليه الإسلام بحال من الأحوال.

ومن أجل هذا فإنّ المحمدية تعمل باستمرار في الحفاظ على نسيج ذلك التّنوّع بشكل إيجابي حكيم داعية أتباع الديانات الأخرى في إندونيسيا إلى تدارس قيم السلام والعدالة والمساواة واحترام الآخر على قاعدة الفطرة الإنسانية المشتركة. إنّ النّشاط الدّعوي التّنويري لابدّ وأن يكون حقلاً جامعاً لنشر الوعي السليم وهو ما سيؤدّي بدوره إلى دعم الحياة المشتركة المتناغمة في ظلّ ذلك التّنوّع، من دون تمييز ضدّ أية مجموعة بعينها في المجتمع.

وتحتاج الحياة المشتركة إلى سعة في الأفق وبسطة في العلم وخبرة وحكمة مناسبين وذلك على أساس من قيم الاحترام المتبادل والتآخي والوحدة والسلام. وفي هذا السياق يحظر الإسلام سلوك

التّشاحن والعدوان والصراع والتّمييز غير القائم على الحق. إنّ الإسلام يدعو إلى إدارة الخلاف على أساس السمو الأخلاقي الذي يشكل قوة دافعة نحو التّقدّم الحضاري الشامل.

٣-١-٥- العلاقة بين أتباع الديانات المختلفة

يعتبر التّنوّع الديني حقيقة حياتية وفي نفس الوقت يمثّل ميداناً للدّعوة. لقد أرسل الله سبحانه العديد من الأنباء والرسل منهم من قصّه على النّبي ومنهم من لم يقصص كما سجل ذلك القرآن الكريم. ووفقاً للقرآن الكريم فإنّ المفهوم العام للدّين الذي أُنزل على الأنبياء والرّسل هو الإسلام إلاّ إنّ أتباعهم غالباً ما كانوا يختلفون فيما بينهم ومن ثمّ تتوالد المذاهب والأديان المختلفة (البقرة:٢١٣). ويبدو عالم اليوم عامراً بالأديان المختلفة ويبرز الإسلام الذي جاء به النّبي محمد -صلّى الله عليه وسلّم- أصحهم سنداً وأقومهم محتوى وأتمّهم وأحسنهم منهجاً.

ولذلك فإنّ الآمال ترنو نحو الإسلام من أجل استنقاذ البشرية من أزمتها الراهنة بناء على جهد الاستيعاب والتّحسين والتّقويم الذي يمكن للدّعوة الإسلامية أن تمارسه بإزاء تعاليم الأديان الأخرى. وفي قيامها بتلك الجهود فإنّ الدّعوة الإسلامية تقدّر المخالفين لكنّها لا تنزلق إلى السلوك النّسبي العلماني ولا إلى سلوك المزج بين الأديان (آل عمران:١٩).

وعلى الرّغم من ذلك تسعى الدعوة الإسلامية جاهدة لتأسيس قواعد للعيش المشترك مع أتباع الأديان الأخرى عبر التّوصل إلى كلمة سواء يكون الحدّ الأدنى فيها الإيمان بالله وباليوم الآخر والعمل الصالح (البقرة:٦٢). وبناء على تلك القيم المشتركة يمكن إطلاق العنان للتّعاون بين أتباع الدّيانات المختلفة من أجل إرساء العدالة والسّلام والرخاء العام من أجل تحقيق التّفوّق الحضاري الإنساني المشترك.

يقرّ الإسلام بوجود الأديان الأخرى وينصّ القرآن على أنّه: «لكم دينكم ولي دين» (الكافرون:٦). كما أنّ الإسلام ينهى عن إكراه الناس على التدين بالإسلام (البقرة:٢٥٦) ومن ثمّ فهو يرسي قاعدة 'حريّة الاعتقاد والتديّن'. وتنوّع الأديان من الناحية العقائدية له مقصد تحدّث عنه القرآن بصراحة، وهو الابتلاء واستخراج أفضل ما عند النّاس من النّوايا والأعمال (المائدة:٤٨). فلو شاء الله لآمن أهل الأرض كلّهم (يونس:٩٩). ومن النّاحية الاجتماعية فإنّ ذلك التّنوّع يهدف إلى دفع النّاس دفعاً للتّعارف والتّعاون والتّسابق في الخيرات (البقرة:١٤٨، المائدة:٤٨) من أجل الارتقاء بمستواهم الحضاري.

ويصل القرآن إلى قمّة التّعامل الحسن بين المسلمين وأتباع الدّيانات المختلفة عندما يقرّ بحقّ المسلمين في معاملة غير المسلمين بالقسط وبذل البرّ لهم. والبرّ هو مستوى أرقى من الخير حيث لا يناله المرء إلاّ عندما ينفق مما يحب (آل عمران:

٩٢). فالمسلم يبذل البرّ لغير المسلمين الذين لم يقاتلوا المسلمين في الدّين ولم يخرجوهم من ديارهم (الممتحنة:٨).

٣-١-٦- التّعاون على البرّوالتّقوى بين أتباع الديانات المختلفة

وتهدف الدعوة الإسلامية من وجهة نظر الإسلام التّقدّمي لإقامة التّعاون على البرّ والتّقوى. وتتعدّد مجالات ذلك التّعاون لتشمل إصلاح مناهج الاعتقاد وطرق أداء العبادات والأخلاق، والمعاملات وجميع أشكال إدارة الحياة العامة. وتظلّل فكرة 'التّقدّم الحضاري الجماعي' كلّ أشكال ذلك التعاون سواء على المستوى الفردي أو الجماعي أو المؤسّساتي على أساس من التّعاون على البرّ والتّقوى وتجنّب التّعاون على الإثم والعدوان.

ويسعى التّعاون تحت مظلّة الدّعوة التّنويرية إلى تحقيق المصلحة العامة أي 'إصلاح' كافة مجالات الحياة وذلك عبر التكثير من الصّداقات والتقليل من العداوات في سبيل العمل الصالح. وبناء عليه تحتاج الدّعوة إلى سعة الصدر وطلاقة أفق النّظر. وعلى المستوى الداخلي الإسلامي يسعى التّعاون الدّعوي إلى نشر الدّين الحق والعمل به والمُنافحة عن مصالحه. وعلى المستوى الخارجي يسعى التّعاون إلى العمل المشترك مع الحكومة وباقي الطوائف الأخرى من أجل بناء ورعاية الدولة التي تجلب الرخاء لشعبها تحت مظلّة من رضا الله سبحانه. ويشمل التّعاون المنشود العمل المشترك بين الأفراد والجماعات والمؤسّسات سواء

على المستوى المحلي أو القومي أو الدولي انطلاقاً من روح العدالة والإخلاص والمساواة والتآزر.

٣-٢- الحركة التجديدية

التجديد هو استجابة فطرية إنسانية لحقيقة وجودية هي تغيّر الفاعلين ونواياهم وتفاعلاتهم والأحداث والظروف المحيطة بهم. وعلى مدار التّاريخ الحضاري الإسلامي كان التّجديد حاضراً على الدّوام إلاّ أنّه كان يخْتُف وإن لم يختف مطلقاً في فترات التّخلّف الحضاري والتبعية للحضارات الأخرى كما هي الحال الآن. والتّجديد الفعّال هو الذي يدعم رسالة الأمة الإسلامية لأن تكون خير أمّة أخرجت للنّاس عبر منحها الخير للجميع ناشرة الرحمة للعالمين وذلك عبر إيجاد الحلول الفعّالة للمشكلات الطارئة على الدوام.

وعلى مدى التاريخ الحديث والمعاصر نشأت حركات تجديدية عديدة أطلقت عليها مسميات اختلفت تأويلاتها باختلاف النّاظرين إليها مثل التّطهرية والإصلاحية والتحديثية. وإن اختلفت مناهج التفكير والعمل بين تلك التّيارات إلاّ إنّها كانت تُعلن على الدّوام أنّ رسالتها هي تمكين المسلمين من التّعامل الفعّال مع راهنهم الحضاري وفق قواعد وقيم الإسلام الراسخة. وفيما يخصّ التّجديد الذي قامت وتقوم به المحمدية فإنّه صار البصمة المميّزة لعمل الجمعية حيث تعتبر المحمدية نفسها أحد

فواعل التّجديد الذي لم ينقطع على مسار التّاريخ الحضاري للأمّة سواء على المستوى المعياري أو العملي.

والتّجديد من وجهة نظر الإسلام التّقدّمي الذي تدعو له المحمدية يتجسّد في أنشطة مستدامة يتمّ من خلالها دراسة التّعاليم الإسلامية وتطوير فهمها وتنقية عقائدها وملاءمة أشكال المعاملات مع الراهن الحضاري المعين وكلّ هذا مع الإرجاع الدّائم للمصدرين الراسخين للتّعاليم الإسلامية وهما القرآن الكريم والسنة النبوية. ويتجسّد التّجديد أيضاً في عمل المحمدية من خلال تحويل الأفكار الجديدة إلى مؤسّسات تضمن استدامة العمل التّجديدي والحفاظ على ذاكرته من أجل دعم مسيرة تحسينه بشكل مستمر.

فعلى سبيل المثال أنشأت المحمدية مجلس الإفتاء والتجديد الذي يقوم بإصدار الفتاوى وتطوير الفكر الإسلامي على كافة المستويات الحضارية. ومن جهة أخرى تقوم المحمدية بالتّحسين المستمرّ للمؤسّسات الأخرى العاملة تحت إمرتها مثل مؤسّسات التّربية والصحّة والخدمات الاجتماعية والاقتصادية؛ وكلّ هذا من أجل ضمان التّقدّم الحضاري للأمّة وألا تتخلّف عن ركب فهم الواقع فهما شاملاً والتّعامل معه تعاملاً إيجابياً فعالاً ويمكن القول أنّ غاية التّجديد الأساسية هي تجديد منهج التّفكير ومنهج الحياة الإسلامية للأمة من أجل تخليصها من ربقة الوهن والتّخلّف عن ركب الإنجاز الحضاري الشامل ورفع إصر

الفقر العلمي والضحالة الثقافية والفساد الأخلاقي.

٣-٣- الحركة العلمية

لا يمكن تخيل التّقدم الحضارة عامة والإسلامي خاصة دون حركة علمية على درجة كبيرة من الانتشار وعلى درجة رفيعة من التّطوّر والتحسين المستمرين. والعلم يحتلّ مكانة سامقة في التّعاليم الإسلامية. والعلماء من وجهة نظر الإسلام يفضّلون غيرهم بشكل نوعي (الزمر:٩). وأولئك الذين اجتمع لديهم العلم والإيمان يرفع الله درجاتهم (المجادلة:١١). وبناء عليه فإنّ أي حركة إسلامية تنشد الإسلام التّقدّمي لابدّ أن تضع العلم في مركز اهتمامها وتنشر الاهتمام به والاعتماد عليه في كافة مجالات الحياة فكرية أو سلوكية أو مؤسّساتية. والأمة الإسلامية حين تعتنق سبيل العلم في إعادة إحياء حضارتها تراها وقد أضحت أعمق وأشمل فهما لتعاليم دينها وتراها وقد أعادت تنظيم حياتها في كرامة ورخاء عام يحفظ حقوق النّاس وكافة مخلوقات الله متقدّمة بمراحل هائلة على ما دونها من الأمم. وفي قيامها بذلك ستجد الأمة الإسلامية المتعلّمة على الدّوام وقد احتوت كافة الأمم الأخرى دعوة وإصلاحاً وإخاء كي تكون خير أمّة أخرجت للنّاس.

والإسلام التّقدّمي لا يسعى لمجرد تطوير الحركة العلمية في ذاتها إنّما يسعى جاهداً لتوظيف تلك الحركة من أجل وضع إصر الجاهلية وفكّ أغلال التّخلّف الحضاري. ويتمّ تجسيد

ذلك من خلال تطوير المؤسّسات التربوية بدءاً من المدارس وحتى الجامعات. ويتمّ ذلك أيضاً من خلال نشر العلم والتعلّم على نطاق أوسع من خلال التّعليم غير النّظامي مثل المنتديات العلمية ومراكز الأبحاث وحركات الإبداع ومجامع الفكر التي تأخذ على عاتقها تطوير المنظومة العلمية ككل وتسريع تطبيقها ونشر حكمة تطبيقاتها المختلفة لخدمة مصلحة الأمة والإنسانية جمعاء.

ويبدأ الاهتمام بالتعليم من مستوى الفرد فطلب العلم فريضة على كلّ مؤمن ومؤمنة. وعلى مستوى المؤسّسات يجب أن تكون جميع أنشطتها مرتبطة بالتّعليم المستمر مجسّدة لرسالتها التّنويرية. إنّ الإسلام التّقدّمي يسعى جاهداً لجعل العلم لغة عامة يتحدّث بها الجميع من أجل ضمان الفهم السليم والخطاب السليم والفعل السليم والذين يصبون جميعهم في مسيرة لا تتوقف نحو تحقيق آمال الحضارة الإسلامية.

٣-٤- الحركة العملية

الإسلام دين العمل حيث يؤكّد على أهمية العمل تجسيداً للإيمان ذلك النّور الذي يضيء أرجاء الحياة والقوة التي تحرّكها والإطار العام لرؤية العالم. وللعمل دور حيوي في ضبط الفهم فالله سبحانه يمقت من يخالف قولهم فعلهم (الصف:٣) ومن يلحق به مقت الله فسوف يتعطّل قلبه عن إدراك الحقائق (التوبة:٩٣).

والمحمدية إذ تعي هذه القواعد الراسخة تحاول جاهدة ألا تكتفي بدعم التّوجه العملي لدى منتسبيها بل تسعى دوماً لمؤسسة العمل لضمان استدامته وتعظيم فاعليته. فللمحمدية باع طويل في مأسسة أعمال البرّ والرخاء العام والتمكين والتربية والصحّة. ومن خلال المؤسسة لا يعود العمل أمراً فردياً يُؤتى عندما تواتي الظروف الأفراد وإنما يصير حركة منظمة ذات طبيعة مستدامة.

وتماشياً مع تلك القواعد السامية المنظّمة للعلم والعمل في الإسلام يؤكّد أنّه ذو الصّبغة التّقدّمية على أهمية التّجرّد والإخلاص والجدية والتّنظيم من أجل ضمان أن يكون العمل في خدمة الإيمان الساعي لحيازة رضا الله سبحانه. وبالإضافة إلى ذلك فإنّ جودة العمل صحّة وحُسناً وفقاً للمعايير المُقرّرة دينياً وعلمياً يعدّ هو الآخر مبدأ لا غنى عنه لتعظيم المصالح المترتبة على الحركة العملية لأعلى مستوى ممكن وتقليل المفاسد التي تعرض لها لأقلّ حد ممكن.

الباب الرابع
الإسلام التقدمي: خدمات عديدة المستويات

طالما أكّدت المحمدية على أهمية الحركة العملية بالنّسبة لمجمل أنشطتها تلك الحركة التي تتمحور بدورها حول العمل الصالح سواء لإصلاح أحوال الأمّة أو الشعب الإندونيسي أو المجتمعات الإنسانية ذات الاحتياجات الخاصّة أو المجتمع الدولي. وتقوم أنشطة الخدمات التي تقدّمها المحمدية على قاعدة راسخة من الإخلاص والتجرّد عن الأغراض الضيقة وذلك في تماش مع القاعدة الإيمانية الأكبر المنظّمة لجميع أقوال وسلوكيات وأعمال المحمدية والساعية لرضا الله سبحانه لا غير. ويتمّ ذلك السعي عبر تعظيم المنفعة التي تقدّمها المحمدية لخلق الله سبحانه لأقصى حد ممكن.

٤-١- الأنشطة الخدمية الموجهة للأمة الإسلامية:

تجتهد المحمدية باعتبارها حركة إسلامية ذات خبرة طويلة في خدمة المجتمعات المسلمة؛ تجتهد في تقديم الخدمات لتلك المجتمعات من أجل الارتقاء بجميع أبعاد الحياة فيها. ومن وجهة نظر الإسلام التّقدّمي فإنّ ذلك الارتقاء يقوم أوّل ما يقوم من خلال إحياء روح الأخوة بين أفراد تلك المجتمعات. وفي القلب من تلك الخدمة يحاول القائمون عليها الارتقاء الحضاري بجميع

أفراد الأمة الإسلامية وذلك من أجل إعطاء دفعة أكبر لتحقيق التآخي بمعناه الأوسع.

إذ كيف يتآخى النّاس تحت وطأة الجهل والعوز؟ إنّ التّآخي الذي يحاول النّهوض بمستوى التّقدّم الحضاري الإسلامي أوّل ما يسعى للدّفع قدماً بجودة الإنسان المسلم من أجل أن يكون نواة لخير أمة أخرجت للناس ليس فقط من جانب العبادات المحضة وإنّما من جانب التّديّن الإسلامي الشامل والذي لا تناقض بينه وبين العبادات المحضة التي تُقام وفق معايير الخشوع والتّقوى اللازمة. فالعابد التقي يعي ضرورة أن يشمل تدينه بإحسان وتفانٍ كافة مجالات الحياة الأخرى.

٤-١-١- ترسيخ الأخوة الإسلامية

تعتبر الأخوّة الإسلامية وصية إسلامية سامية المعنى طالما كانت حاضرة على مدار التّاريخ الحضاري الإسلامي. لقد منحت تلك الأخوّة القوّية اللازمة للأمّة لكي تحيا كلّ هذه القرون وفي نفس الوقت حالت بينها وبين السّقوط في براثن التّشرذم. فطبقاً للقرآن الكريم المؤمنون ليسوا إلاّ أخوة وأنّه في حال ما حدث خلاف بين فرقتين منهم فيجب على المؤمنين الآخرين التّدخّل الفوري للإصلاح بينهما (الحجرات:١٠). ومما يعطي الإخّوة الإسلامية معناها الأساسي هو وحدة الاعتقاد في الله سبحانه رباً وإلهاً وفي النّبي محمد رسولاً وأسوة حسنة لنشر الرحمة للعالمين بالحق

وفي القرآن الكريم الذي يعدّ مرجعية نهائية لجميع المسلمين؛ وكلّ ذلك يربط المسلم مع المسلم بعروة وثقى لا انفصام لها. والتّآخي ذو القواعد الراسخة تلك يعدّ الضّمانة الأقوى لقيام المسلمين بدور حضاري فعّال لا نظير له خاصّة إذا ترافق مع ذلك الدّور نُبل الدّور وحسن منهجه.

وفي إندونيسيا يحتلّ المسلمون موقع الأغلبية السكانية ومن أجل هذا فإنّ عليهم واجباً كبيراً من أجل الدّفع قدماً بالبلاد نحو مستقبل حضاري أكثر إشراقاً واستدامة. ومن جهة أخرى تبرز حقائق متنوّعة متعلّقة بالوجود الغالب للمسلمين في إندونيسيا. فهؤلاء المسلمون ينتمون إلى جماعات ومؤسّسات شتى منها ما يختصّ بالعرق ومنها ما يختصّ بالإرث الثقافي ومنها ما يتعلّق بمنظّمات وتيارات فكرية معينة؛ وكلّ تلك التكوينات تصبغ الشّخصية بصبغتها وفي نفس الوقت تتطلب التزاماً معينا من أعضائها.

وحقيقة التّنوّع تلك يجب أن يُنظر إليها باعتبارها ثروة ثقافية للأمّة تدفع باتّجاه التّقدّم الحضاري وليست عامل فرقة وتشرذم تثبط ذلك التّقدّم. وبناء عليه يطرح الإسلام التّقدّمي رؤية يتمّ بموجبها تحقيق التّكامل بين الإمكانات المتنوّعة لتلك الجماعات بناء على قاعدة من المشتركات القيمية والمقاصدية الراسخة التي تحملها الرسالة الإسلامية وذلك حين ينخرط الجميع في خدمة قضايا الأمّة الكلية ويتبادلون التّعاون في خدمة

مشاكلهم الخاصة ويعذر بعضهم بعضاً فيما لا مناص من الخلاف حوله. وإذا تمّت تلك الرّؤية وأخذاً بالاعتبار بأنّ المسلمين هم أكثرية سكّان إندونيسيا فسوف ينعكس ذلك الواقع الإيجابي على التّقدّم الحضاري الكلي لإندونيسيا. وفي نفس الوقت تدعو رؤية الإسلام التّقدّمي جموع المسلمين إلى نبذ سوء الظّن والتّحيزات المسبقة والنيل من الكرامة الإنسانية المبثوثة فطرياً داخل كلّ مسلم.

وحركة الخدمة التي تطرحها رؤية الإسلام التّقدّمي لا تقف عند حدود القومية الإندونيسية وإنّما تتجاوزها نحو الأخوة الإسلامية العالمية حيث ينتشر المسلمون في ربوع المعمورة كلّها تقريباً. والانتماء للوطنية الإندونيسية لا يقف حائلا دون الاهتمام بأفراد وجماعات الأمّة الإسلامية المنتشرين بين القوميات المختلفة.

وبخاصة عندما ندرك أنّ القواعد الدستورية الإندونيسية (البانشاسيلا) تفتح الباب واسعاً لذلك عبر مبدئها الثاني (الإنسانية العادلة المتحضرة). والعلاقات المتينة مع المجتمعات الإسلامية عبر العالم ينبغي أن تبدأ من مستوى العلاقات الفردية والمجتمعية والمؤسّساتية. وتلك العلاقات لا ينبغي أن تتوّقف عن حدود العلاقات المادية بل لابد أن تشمل العلاقات الاجتماعية والثقافية والفكرية.

إنّ من شأن ذلك إطلاق العنان لشبكة عالمية تصير ميداناً خصباً لتطوير روح التّآزر وترسيخ الوسطية الإسلامية داعمة رسالة الإسلام في أن يكون رحمة للعالمين. والأخوّة الإسلامية هي مرحلة لنقلة أكثر تقدماً حضارياً هي الأخوّة الإنسانية العابرة لحدود القوميات. ومن الجدير بالذّكر أنّ خدمة التّآخي الإسلامية في إندونيسيا يجب أن تقوي جودة الحياة الإسلامية كي تصير أخوة الإسلام في إندونيسيا عاملاً فعالاً في إرساء السلام والأمن والتّقدّم الحضاري العالمي.

ومن جهة أخرى يعدّ الاختلاف الفكري الديني حقيقة ماثلة في أوساط الأمّة الإسلامية. ويتطلّب ذلك الاختلاف تعاملاً حصيفاً معه من خلال عملية حوارية علمية عميقة مستدامة. ومن خلال تلك العملية التي يتمّ من خلالها التّعاون في أوجه الاتّفاق والتّسامح مع أوجه الخلاف؛ من خلال تلك العملية يمكن حينها النّظر لذلك الاختلاف باعتباره تنوّعاً ثرياً.

ومن الجدير بالذّكر أنّ الاختلاف المذكور قد يقع في دائرة الأصول وقد يقع في دائرة الفروع. أمّا الخلاف في الأصول فهو مما يتعسّر حلّه على الأقلّ بشكل عاجل. أمّا ما يتعلّق بالخلاف حول الفروع فيمكن التّسامح معه واعتبار ذلك التّسامح مصلحة مشتركة لجميع الفئات المتخالفة. كما يجب أن يُستنبت مسلك التّسامح هذا في وعي كلّ مسلم منذ نعومة أظافره. ومسلك التّسامح الذي يتمّ زرعه من خلال المنظومة التربوية يسهم

إسهاماً فعالاً في الحيلولة دون تحول ذلك الخلاف حول الفروع إلى صراعات وأحياناً صراعات عنيفة. إنّ التربية تعظّم من فرص القضاء على التّعصّب الأعمى واتّباع الأهواء وهما السببان الأكثر احتمالاً لنشوء الصّراعات.

٤-١-٢- تحسين جودة حياة الأمّة الإسلامية

كما سبق القول فإنّ التّآخي بين المسلمين فقط لا يلزم منه تقدّم حضاري ملموس إلاّ إذا كان تآخياً بين عناصر ذات جودة عالية. ومن جهة أخرى تشهد أعداد المسلمين الجدد زيادة سريعة ملحوظة وذلك بفعل عوامل عدّة أهمّها زيادة أعداد المواليد وتحوّل المزيد من غير المسلمين إلى الإسلام. وهذه الزّيادة في أعداد المسلمين تثير فخراً لدى المسلمين وخاصّة أنّ النّبي محمد -صلّى الله عليه وسلّم- كان قد سبق وأشار إلى تباهيه بأعداد أمّته يوم القيامة نسبة إلى الأمم الأخرى.

ولكن الأمر ليس بهذه البساطة فتزايد الأعداد مع قلّة جودة مواردها البشرية يثير حفيظة المتأمّل الحريص على حال المسلمين لأنّها ستكون عبئاً على تقدّم الأمّة الحضاري. ومن أجل الارتقاء بتلك الجودة ينبغي استفراغ الوسع من أجل تنفيذ خدمة متعدّدة الأبعاد تشمل ميادين التربية والصحّة والرّخاء العام.

هذا من جانب جلب المصالح ومن جانب درء المفاسد ينبغي بذل الجهد الخدمي من أجل مواجهة تيارات النّيل من العقيدة

الإسلامية إمّا تغييراً أو تشويهاً أو تسطيحاً. إنّ جودة العنصر البشري تحتلّ مكانة مركزية في الخدمة التي تؤدّيها المحمدية لأنّ أكثر ما يقرّر عِظم الدّور الحضاري من عدمه هو تفوّق الجودة لا الكمّ. وفي هذا السّياق ينبغي أن يتمّ جهد الارتقاء بجودة العنصر البشري مع تيارين رئيسين في التّقدّم الحضاري المنشود وهما 'الوسطية' و 'الرحمة للعالمين'.

وهذان التّياران (المقصدان) يحدّدان توّجه الارتقاء بالعنصر البشري ويقفان حائلاً منيعاً ضدّ محاولات النّيل من سمعة الأمّة مثل الخوف المرضي من الإسلام (الإسلاموفوبيا) والتّحيّزات المسبقة والمقولبات الذهنيّة السّلبية والعنصرية العرقية فضلاً عن التمييز الاجتماعي على أساس الانتماء الديني.

٤-٢- الأنشطة الخدمية الموجهة للشعب الإندونيسي:

يؤكّد الإسلام التّقدّمي على أهمية أن يكون المسلم خَيّرا في خدمة النّاس يقدّم لهم المنافع ويقوم على إصلاح شؤونهم الأقرب فالأقرب. فخير النّاس أنفعهم للنّاس والأقربون أولى بالمعروف. وإذا أخذنا بالاعتبار أنّ المسلمين يشكلون أغلبية السكّان في إندونيسيا من جهة وأنّ قيام تلك الدّولة لم يكن ليتمّ إلاّ بتضحيّات هائلة من علماء وطلاب الشّريعة الإسلامية ودعوات الجهاد التي لم تنقطع في مواجهة الاحتلالات المتتابعة من هولندية ويابانية وإنجليزية. ومن ثمّ صار المسلمون أحقّ أهل إندونيسيا

بتحقيق تقدّمها الحضاري.

ومن وجهة نظر المحمدية يجسّد ذلك رؤيتها لإندونيسيا دارالعهد والشّهادة. وتعدّ تلك الرؤية نتيجة اجتهاد لصياغة فقه سياسي معاصر تمّ طرحه في المؤتمر السابع والأربعين في مدينة ماكَسّر (Makassar) عام ٢٠١٥. وعلى مدار ما يزيد على قرن من الزمان أرست المحمدية تقاليد الخدمة الوطنية سواء من جانب رموزها القيادية أو أعضائها العاملين. لقد أخذت تلك الخدمة أشكالاً عدّة أهمّها تطوير الوعي العرقي الضيق إلى وعي وطني عام وتزكية الحياة الاجتماعية بكافة أبعادها وإرساء قواعد الدّولة وصولاً إلى مستويات حضارية لم تكن موجودة من قبل. وتُوجت تلك الجهود بالطّرح التجديدي المذكور آنفاً (دولة القواعد الخمس أي البانشاسيلا دار العهد والشهادة) حيث يمكن اعتبار ذلك الطّرح فقهاً سياسياً جديداً للخروج من الجدال السلبي الذي يضع الإسلام في مواجهة الدولة الإندونيسية.

إنّ رؤية 'دار العهد والشهادة' والتي تتجسّد في استفراغ الوسع في الدّفع قدماً بالتّقدّم الحضاري في كافة مجالات الحياة العامة الإندونيسية تعني من حيث كونها 'دارا للعهد' أنّ إندونيسيا المؤسسة على القواعد الخمس (البانشاسيلا: وحدانية الله سبحانه – الإنسانية العادلة المتحضرة – وحدة إندونيسيا – الجماهيرية المقودة بحكمة الشورى بين وكلاء الشعب – والعدالة الاجتماعية لكافة مكونات الشعب الإندونيسي) هي

تكوين اجتماعي ولد أساساً من رحم توافق بين كافة مكوّنات الأمّة وأنّ هذا التّوافق يجب أن يتمّ التّمسّك به. كما تعني عبارة 'دار الشهادة' أنّها إندونيسيا يجب أن تكون مجالاً حيوياً للشّهادة الإسلامية التي تثبت نفسها في كفاح لا يتوقّف من أجل الدّفع قدماً بالتّقدّم الحضاري للدّولة الإندونيسية أرضاً وشعباً وحكومة.

وفي نفس الوقت تعني الشّهادة حضور المحمدية الإسلامي الحضاري في جهد نقدي تقويمي متّسق مع الذّات للمسيرة الوطنية. فالشّهادة وفق المفهوم القرآني تعني أيضاً 'شهادة على النّاس'. وتتضمّن تلك الشّهادة إقرار الحق وتطويره وإبطال الباطل ومقاومته. جنباً إلى جنب مع الإيمان بالله، الذي يشمل إقرار الحق وإبطال الباطل على الذّات وليس على النّاس فقط. وهو ما يقرّره القرآن حين يقول: «وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على النّاس – البقرة: ١٤٣». وعندما ينصّ على «كنتم خير أمة أخرجت للنّاس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله – آل عمران: ١١٠». فمفهوم الشّهادة إذن مرتبط بشكل عضوي بمفاهيم الوسطية والخيرية والاتّساق مع النّفس عبر الإيمان بالله. إنّ صياغة رؤية 'دار العهد والشّهادة' تستمدّ صحتها المنطقية من حقيقة أنّ القواعد الخمس ترجع كلّها إلى كليات الدين الإسلامي بل إنّ معظمها يرجع بشكل لساني إلى مفاهيم عربية أصيلة.

فالقاعدة الأولى التي تنصّ على 'الربوبية الوحدانية' (Ketuhanan yang Maha Esa) تعتبر تجسيداً لمبدأ التوحيد الصافي المتكامل. والقاعدة الثانية التي تنصّ على 'الإنسانية العادلة المتحضرة' (Kemanusiaan yang Adil dan Beradab) تعبر عن مبدأ تكريم الإنسان الذي أرساه القرآن الكريم. أمّا القاعدة الثالثة التي تنصّ على 'وحدة إندونيسيا' (Persatuan Indonesia) فهي المرادف لتعاليم الأخوة المتحابة المعطاءة. على حين تحمل القاعدة الرابعة التي تنص على 'الجماهيرية المقودة بحكمة الشورى بين وكلاء الشعب' (Kerakyatan yang Dipimpin oleh Hikmat Kebijaksanaan dalam Permusyawaratan Perwakilan)؛ تحمل معاني الشورى والأمة وإقرار الحق الطبيعي للنّاس في اختيار ولاة أمورهم، وفق الحكمة والمصلحة وتبني الوسائل السلمية لحلّ الخلافات. وأخيرا تنصّ القاعدة الخامسة على 'العدالة الاجتماعية لجميع مكوّنات الشعب الإندونيسي' (Keadilan Sosial bagi Seluruh Rakyat Indonesia) وهي في ذلك تُرسّخ مبادئ المساواة والتّوازن والرخاء العام والعدالة التي تتسامى فوق التحيزات العرقية والجهوية.

ومن جهة أخرى يحفل الدستور الإندونيسي بمبادئ مشتقة مباشرة من التّعاليم الإسلامية. فعلى سبيل المثال تتأسّس أهداف المنظومة التربوية الوطنية برمتها على تعاليم إسلامية مباشرة. فالفصل الحادي والثلاثين من الدستور في مادته الثالثة ينصّ

على أنّ «الحكومة تسعى لتنفيذ منظومة تربوية قومية ترتقي بمستوى الإيمان والتقوى والأخلاق الكريمة في إطار تزكية حياة الأمة». أمّا الجدال الذي تمّ إبان قيام الدولة حول شكل الدولة إذا ما كانت دولة تطبق أحكام الشريعة الإسلامية على معتنقيها أم لا، فهو جدال تاريخي تمّ حسمه من خلال توافق جماعي آنذاك مراعاة للمصلحة العامة للأمّة الناشئة آنذاك وفق معطيات الواقع الاستراتيجي الدولي والمحلي.

لقد كان من شأن التّوافق الوطني حول تلك المبادئ أن أفضى وبشكل مستمر إلى دعوة جميع مكوّنات الأمة إلى الدفع قدماً والحفاظ على مسيرة الأمة نحو تحقيق آمالها السامية. إنّها الآمال التي يطلق عليها القرآن 'بلدة طيبة ورب غفور' (سبأ:١٥). وعلى نفس قواعد التّوافق الوطني تمّت صياغة تلك الآمال في الوثائق الرسمية للدّولة في شكل هدف الوصول إلى مجتمع العدالة والرخاء على أساس القواعد الخمس (البانشاسيلا).

وفي وثائق المحمدية، تمّت صياغة نفس الأهداف، بعبارة 'المجتمع الإسلامي الحق'. وكلّ تلك الصّياغات تتضافر فيما بينها للتّأكيد على تعظيم دور جميع مكوّنات الأمة الإندونيسية وصولاً للمجتمع والأمّة والدّولة المأمولين. إنّ صياغة 'دار العهد والشهادة'، التي قدّمتها المحمدية، تفسح الطريق أمام الإسهام الإيجابي الفعّال من جانب الأمة المسلمة الإندونيسية للدّفع بالتّقدّم الحضاري الإندونيسي قدماً لأبعد مدى ممكن.

٤-٢-١- الدفع قدما بالديمقراطية

يرتبط تطبيق الإسلام التّقدّمي وثيقاً بقضية الديمقراطية في إطار منظومة الدولة الإندونيسية. فالدّيمقراطية ليست مجرّد وسيلة لتسيير شؤون الدولة أو العمليات السياسية، وإنّما تعدّ طريقة للارتقاء بجودة حياة المجتمع ككلّ. والديمقراطية، في الحقيقة، ترتكز على جملة من القيم التي يحويها الإسلام، وبناء عليه، فإنّ الجهد المبذول لترقية جودة العملية الديمقراطية تعتبر جزءاً من عملية تحقيق رؤية 'دار العهد والشهادة' المذكورة آنفا.

وبناء عليه فإنّ دولة جمهورية إندونيسيا الموحّدة سوف يكون لها الأساس الأكثر كمالاً للتّقدّم الحضاري، ذلك الأساس الذي يجنبها أن تكون دولة تسلطية أو ليبرالية أو عالمانية. وفي سياق تطبيقها تحتاج الديمقراطية الإندونيسية إلى تطويرها باتّجاه الديمقراطية الجوهرية (لا الشكلية) التي تضع الأمانة والجدارة المهنية على سُلّم أولوياتها وذلك بهدف إيجاد الحياة الاجتماعية المستقلّة عن التدخّل الأجنبي والعادلة وذات الرخاء والمتحضرة.

والإسلام التّقدّمي يرى في المجال السياسي مجالاً حيوياً مهمّاً من أجل إصلاح حال الدولة وذلك عن طريق الدفع بالطاقات الإنسانية ذات الأمانة والجدارة المهنية، بشكل جماعي وحكيم نحو المساهمة في الإدارة الاستراتيجية للعملية السياسية على أساس من الأخلاق الكريمة والرؤى المثالية الراسخة. ويجب أن

تكون تلك المساهمة من أجل «جعل التّعاليم الإسلامية مرجعية أساسية كي يتسنى قيام المجتمع الإسلامي الحق». وبنفس منهج الدّفع بالطّاقات الإنسانية اللائقة يمكن للإسلام التّقدّمي أن يسهم في تطوير القيم الأخلاقية الإنسانية العالمية ومفاهيم المصلحة العامة التي يمكن ترجمتها إلى سياسات عامة ملائمة. وعلى النّقيض من ذلك فإنّ ممارسة سياسة الصّفقات ذات المدى القصير، والتوجّه الدنيوي التي تغفل القيم الأخلاقية والدينية وتتعامى عن مبدأ الجدارة المهنية؛ إنّ ممارسة سياسية من هذا القبيل لهي تهديد خطير يعترض مسيرة الديمقراطية ومن ثم يعرقل التّقدّم الحضاري أيّما عرقلة.

وعلى الصّعيد العالمي تشهد الديمقراطية تراجعاً مستمراً بسبب سيادة سلطان المال والتّقدّم التّقني المتحلّل من قيود الأعراف الإنسانية، ناهيك عن دخول العالم فيما بات يُعرف بعصر 'ما بعد الحقيقة' و 'ما بعد السياسة' حيث تسود الاتّجاهات الشعبوية المُضللة بدوامات الإعلام غير العلمي الغرائزي ويتعملق دور الدولة الرقابي الشامل المدعوم بتغوّل التقنية والمال السياسي على المجتمع ويتراجع الاهتمام بأولويات غالبية المجتمع وبقضايا التّنمية المستدامة مثل التغيّر المناخي والاستقطاب العسكري بين القوى الكبرى والاختلالات الديمغرافية والأزمات الاقتصادية-المالية الدورية وسباقات التسلح ذي التّدمير الشامل، والفجوات الهائلة بين الأغنياء والفقراء ... إلخ.

وفي ظل ذلك التراجع المستمر للديمقراطية بات لزاماً على قوى التّقدّم الحضاري بذل المزيد من الاهتمام بالمجال السياسي في ظل مناخ عام من تغافُل النخبة العامة، القومية والعالمية عن مصالح النّاس. إنّ إندونيسيا في حاجة ماسّة إلى نخب تشريعية وتنفيذية وقضائية ذات توجه أمين ومهني.

وفي هذا السياق تعدّ 'ديمقراطية الرّخاء' خياراً مثالياً وذلك لأنّه يصب اهتمامه على مصالح النّاس في حين تمتلك النخب فيه حساسية إيجابية تجاه أمانة تسيير شؤون النّاس. إنّ الديمقراطية المتقدّمة حضارياً هي التي تنظر للدولة باعتبارها خادمة للرخاء العام لجميع مواطنيها رغم ما قد ينتج عن ذلك من تحمّل الأثرياء أعباء أكبر في المدى القصير، مقابل مصالح استراتيجية كبرى على المدى الطويل تتمثّل في الاستقرار المجتمعي وأمان الأجيال القادمة واتّساع وثراء النّشاط الاقتصادي المربح نفسه. ومثل هذه الممارسة الديمقراطية يمكن إطلاق 'الديمقراطية الاقتصادية' عليها والتي تهدف غائيّا لتعظيم الرخاء العام بمعناه الشامل المتوازن وبأقصى حد ممكن ولأطول فترة ممكنة.

٤-٢-٢- تحسين الوضع الاقتصادي

وإلى جانب المجال السياسي والديمقراطية فإنّ أحد أهمّ المجالات القومية التي تستحقّ اهتمام الإسلام التّقدّمي هو

المجال الاقتصادي. إنّ الاقتصاد المنشود في هذا المضمار هو اقتصاد القواعد الخمس (اقتصاد البانشاسيلا) الذي يحرص على وضع قيم الجماهيرية والعدالة والإنسانية في المقام الأول. وفي هذا المضمار فإنّ المحمدية تساهم بشكل فعّال ومباشر في تمكين الفئات الأكثر هشاشة من المجتمع (الضعفاء والمستضعفين) وذلك من أجل تحقيق اقتصاد العدالة لجميع مكوّنات الشعب. واقتصاد العدالة هذا يلزمه سياسات وأفعال ملموسة من أجل تقليل الفجوات الاقتصادية وإزالة الاختلالات الاجتماعية، وتركز الثّروة في أيادي أقلية معينة.

وتقوم المحمدية بعدّة أعمال من أجل تعزيز كفاحها في سبيل الارتقاء باقتصاد الجماهير. فتقوم المحمدية بتوفير المساعدات للفئات المهمشة من أجل حيازة الحياة الكريمة بصورة مستدامة. وفي هذا الإطار تقوم المحمدية بانتهاج طريق ثلاثي الأبعاد: التّوعية بأهمية روح التّقدّم الحضاري تزويد الجماهير بالمهارات اللازمة من أجل تمكينهم اقتصادياً وتوفير الدّعم المالي من أجل القيام بأعمال تجارية للفئات الأقلّ حظاً.

وعلى الرغم من كلّ تلك الجهود إلاّ إنّ اقتصاد البانشاسيلا المتحيّز لمصلحة عموم النّاس لا يمكن تحقيقه من خلال التّحكّم في السياسات العامة أو من خلال تمكين الفئات الأقلّ حظاً فقط. يحتاج اقتصاد البانشاسيلا إلى ما يمكن تسميته 'محو الأمية الاقتصادية' لجميع أبناء الشعب الإندونيسي. فمحو الأمية هذا

يمثّل جزءا من مهمّة 'دار العهد والشهادة'. ويتّفق محو الأمية هذا مع روح 'عقيدة الماعون' التي أسهمت تاريخياً في بناء ثقافة السخاء والكرم من جهة وفي تمكين الطوائف المهمشة من جانب آخر.

إنّ أول بند في محو الأمية الاقتصادية من وجهة نظر المحمدية يتمثّل في إشاعة الوعي لدي كافة قطاعات الشعب الإندونيسي بأنّ الكفاح من أجل التّقدّم الاقتصادي يعتبر نوعاً من العبادة التي يتقرّب بها المرء إلى الله سبحانه. ومن هذا المنظور فإنّ العدالة والنّهضة الاقتصادية (الاستقلالية والقوة والميزة التنافسية) تمثّل طريقاً مهماً للقربى من الله سبحانه. وعلى الجانب الآخر يعني هذا أن يتجنّب المواطنون الفقر الذي يجلب الكفر. كما يعني هذا توجّه الخطاب نحو ذوي السلطان القائمين على السياسات الاقتصادية الاستراتيجية؛ أن يتوجه الخطاب إليهم كي يصيغوا تلك السياسات التي تهدف أساساً للتخفيف من حدّة الفقر.

يتوجّه خطاب محو الأمية الاقتصادية، من وجهة نظر الإسلام التّقدّمي نحو الإندونيسيين أجمعين بأنّ جوهر النّهضة الاقتصادية يتمثّل إقامة اقتصاد مستقل يحرّر البلاد من ربقة الخضوع للاحتلال الاقتصادي من الدول الأخرى، دون التّخلي عن التّعاون الإيجابي مع كافةالأطراف ذات الصلة.

٤-٢-٣- تطوير المنظومة القانونية:

يسعى القانون نحو تعزيز النّظام العام، والعدالة والمنفعة. وبناء عليه، تجب صياغة القواعد القانونية لتحقيق تلك الأهداف. وفي السياق الإندونيسي يجب أن يتمّ تطوير القوانين واللوائح تماشياً مع قيم البانشاسيلا وديباجة الدستور الإندونيسي باعتبارهما قواعد أخلاقية أساسية تقوم عليها الدولة، وأهدافاً كبرى تسعى لها.

فالقاعدة الأولى والثانية من البانشاسيلا واللتان تمثّلان القيم الدينية الأخلاقية الراسخة لدى الأمة الإندونيسية لابدّ أن تصيرا مصدر إلهام مهم في عملية صياغة القوانين القومية. وعلى النقيض من ذلك يجب استبعاد كافة مشروعات القوانين التي تتعارض مع القيم الدينية والأخلاقية لأنّها ببساطة تعارض المبادئ الدستورية المتمثلة في البانشاسيلا.

ومن أجل تحقيق مقاصد الدّولة الإندونيسية كما أوصت بذلك ديباجة دستور ١٩٤٥ ومنها إيجاد مجتمع الرخاء العادل فإنّ جوهر الصياغات القانونية القومية وما يستتبعها من سياسات عامة لابدّ وأن تصمّم في إطار تحقيق تلك الأهداف. وباعتبارها دولة قانون وليست دولة تسلطية فإنّ القانون يجب أن يضمن النّظام العام والعدالة والمنفعة. ويجب أن يتمتّع الجميع بمعاملة متساوية أمام القانون ويجب أن تتمّ عملية إنفاذ القانون دون أي تمييز. إنّ تطوير القوانين وما يتلوه من سياسات عامة لا ينبغي أن

يقتصر دوره على حماية حقوق ومصالح النّاس فقط بل يجب أن يتخطى ذلك نحو الدفع قدماً بالرخاء العام للجميع دون تفرقة.

والقانون وسيلة من وسائل تجديد الحياة العامة للمجتمع، وقاعدة انطلاق لعملية التّقدّم الحضاري في الأمّة. وفي هذا المقام ينبغي أن تهدف عملية صيغة القوانين تغيير القيم والعادات وسمات الشخصية الاجتماعية التي لا تدعم التّقدّم الحضاري السامي العادل. فالمنظومة والنّموذج والمحتوى القانوني الذين لا يمثّلون قيم وروح التّقدّم الحضاري ولا يتّفقون مع البانشاسيلا والدستور الإندونيسي، يجب أن يكونوا موضوعاً للإصلاح.

لقد اضطلعت المحمدية منذ البداية سواء بطريق مباشر أو غير مباشر بدور كبير في عملية صياغة الأسس الدستورية (البانشاسيلا) والدستور نفسه ومن ثم فإنّ هذا يضع على أعتاقها مسؤولية تطوير القانون القومي وما يتولّد عنه من لوائح وقرارات تنفيذية بشكل يدعم تحقيق مقاصد العيش المشترك تحت مظلّة دولة إندونيسيا. ولابدّ من حث جميع الأطراف على القيام بأدوارها الملائمة في سبيل جعل الأسس الدستورية والدستور قواعد راسخة عن حق من أجل تطوير وإصلاح القانون القومي من أجل حماية جميع مكوّنات الشعب الإندونيسي وبخاصة تلبية الحقوق الدستورية الأساسية لجميع مواطني الدولة.

إنّ القانون الموجّه بمقصد تحقيق العدالة لهو شرط مسبق لتحقيق الرّخاء العام لجميع مكوّنات الشعب الإندونيسي.

ولكن كثيراً من تطوّرات الواقع الإندونيسي من أسف تقف شاهدة على وجود قوانين عديدة تتناقض مع الدّستور وتتخلّف عن تمثيل قيم العدالة ومن ثمّ تعجز عن تحقيق أهداف المصلحة والنّفع العامين. وأمثال تلك القوانين يجب أن تخضع لعملية تقويم وتصحيح ومراجعة وإذا لزم الأمر يتمّ تغييرها جذرياً عبر الآليات الدستورية المناسبة.

وباعتبارها إحدى قوى المجتمع المدني الإندونيسي واستناداً إلى التزامها القوي بالكفاح من أجل إقامة الحق والعدل والذي يستمدّ قوّته من روح التديّن الإسلامي المتينة فإنّ المحمدية تقوم بجهاد دستوري في سبيل ضمان تمثيل القوانين لروح العدالة وتماشيها مع الدستور وتلافي مواطن الالتباس وتعدّد التّفاسير المتضاربة وعدم وضوح الصياغات القانونية. إنّ المحمدية وبالتّعاون مع باقي عناصر الأمّة الفاعلة تقوم بذلك الجهاد الدستوري من أجل إقامة منظومة اجتماعية ذات نظام قانوني ينحاز لمصالح الجماهير.

ولا تقتصر المشكلات التي تواجه المنظومة القانونية في إندونيسيا على محتوى القوانين فقط وإنّما تتخطاها كذلك إلى البُعد الخاص بإقامة القانون. وتتمثّل المشكلة في هذا السياق عندما يحيد إنفاذ القانون عن مسار الإجراءات القانونية السليمة. وفي ظلّ مناخ غير صحي كهذا يظهر العديد من أشكال الجرائم مثل تسليع القانون ومافيا القضايا والتّعامل التّمييزي

وكلّ تلك الجرائم يجب أن تصنف تهديدات خطيرة للمجتمع ككل. إنّ الوهن الذي يعاني منه إقامة القانون يؤشّر على وهن مقابل لدى الهيئات القائمة على تنفيذ القانون وغياب التزامها تجاه الإسهام الفعّال في إقامة إندونيسيا المتقدّمة حضارياً. وكثيراً ما يتمّ إعاقة مسيرة إنفاذ القانون بواسطة قوى سياسية واقتصادية تتدخّل بشكل غير قانوني في سير العدالة من أجل الفوز بمصالح ضيقة قصيرة الأمد.

وانطلاقاً من روح الإسلام التّقدّمي، فإنّ المحمدية تعمل بلا كلل من أجل تنمية التربية الموجّهة بالعدالة فضلاً عن القيام بخطوات استراتيجية من أجل التّغيير الحضاري في هذا الاتجاه. إنّ إقامة القانون والعدالة لا ينبغي بحال من الأحوال أن يتسامح مع أي فعل سياسي أو سلطوي من شأنه إفساد مسيرة العدالة لأنّ مثل تلك الأفعال سيترتب عليها إفساداً أكبر لمجمل الحياة الاجتماعية. فخطورة تلك الأفعال تكمن في شيوع اعتقاد عام بأنّ إندونيسيا ليست دولة قانون وإنّما دولة سلطوية. ومن مجهودات المحمدية في نفس السياق تقديم خدمات المناصرة القانونية (advocacy) للفئات الأقلّ حظاً التي لا تتحصّل على منافذ يسيرة وآمنة لنظام التّقاضي العادل مما يسهم في نيل تلك الفئات لحقوقها.

٤-٢-٤- استنهاض المنظومة الثقافية

يستلزم جهد التّقدّم الحضاري الإسلامي الذي تقوم به المحمدية جهداً مناظراً في المجال الثّقافي. واستنهاض وإعادة بناء المنظومة الثقافية يعني بحق بناء شخصية قومية ذات وعي إسلامي وإندونيسي وإنساني عالمي. وتقصد عملية البناء الثقافي تلك إلى تطوير ثقافة إندونيسية إسلامية رائدة وذات تنافسية عالية تجسيداً لرحمة الإسلام بالعالمين. ويحتاج هذا المجهود النهضوي الثقافي إلى مجهودات متكاملة شاملة لا يقدر عليها قطاع أو مؤسسة بعينها لأنّ الثّقافة المقصودة هنا تمتلك طيفاً واسعاً من المعاني يشمل مجمل مناهج الفكر والسلوك الإنساني في جميع شؤونه الحياتية.

إنّ مسؤولية النّهوض الثّقافي يضطلع بها جميع مواطني الأمّة. فكلّ مواطن إندونيسي عليه واجب بناء شخصية رائدة، محبّة لوطنها مستعدّة للفداء من أجله ومنحازة للمصلحة الإنسانية عموماً. وفي نفس الوقت تسعى المحمدية لأن تكون رائدة في المنافحة عن ثقافة الأمّة الإندونيسية الرائدة، ذات المكانة السّامقة والمتحضّرة. فالمحمدية تطوّر بيئة مليئة بقيم التّقدّم مثل التّعددّية والتّسامح والتآزر والمساواة والعدالة، والعمل الجاد، وكلّها قيم تتلاقى مترابطة مع القيم القرآنية وشخصية النّبوّة الشّريفة.

إنّ تلك القيم الثّقافية التي يملؤها الخير تحتاج إلى أن يُكافح في سبيلها وأن تُمارس أن يمكن الاقتداء به وتُعلّم رسمياً وغير رسمي بشكل نظامي أو جماهيري. ويبدأ هذا الجهد من التعويد المستدام والذي سيتطور بمرور الزمان ليصير عادات متأصّلة جيّدة. وعندما تنتقل تلك العادات الحميدة، من جيل إلى جيل ويتمّ الدّعوة إليها بشكل مثير للإلهام والتنوير ويتمّ ربطها بالسّياقات الواقعية المتغيّرة باستمرار فإنّ تلك العادات لا تلبث إلاّ أن تتحوّل إلى تقاليد التّقدّم الحضاري المنشود. إنّ تلك التّقاليد هي المادة الخامة للنّهضة الثّقافية في حين تعتبر النّهضة الثّقافية قاعدة الانطلاق للنّهوض الحضاري الشّامل المنشود.

٤-٣- الخدمات الإنسانية

تكرس المحمدية باعتبارها منظّمة إسلامية اهتماماً بالغاً للقضايا الإنسانية. وفي انحيازها لتلك القضايا تنطلق المحمدية من قواعد القرآن والسنة التي تأمر أتباعها بأن يهتموا بالضعفاء مثل الفقراء والمساكين والعجائز وذوي الهِمَم (المُعاقين) والأطفال اليتامى. والإسلام التّقدّمي يعتبر مصدراً أساسياً للحركة الاجتماعية-الثقافية التي تضع أولوية تمكين الإنسان العابرة للشّعوب والأعراق في مكانة الصدارة. وذلك بناء على نموذج أخلاقي تراحمي من أجل الارتقاء بمستوى جودة الحياة الإنسانية. ويتمّ تنفيذ ذلك عن طريق التّعاون في حشد طاقات

الكرم والسخاء الإنسانيين من أجل أعمال البرّ من جميع أطياف المجتمع. وفي هذا الإطار تعتبر المحمدية ميداناً لتجمّع أوجه ذلك التّعاون حيث يسارع المقتدرون لمساعدة غير القادرين والمهمشين من أجل تمكين الإنسان بشكل عالمي. ومن خلال تعاليم سورة الماعون فإنّ المحمدية لا تعتبر أحوال تلك الفئات الهشة التي تعاني من صعوبات الحياة المختلفة نتاجاً لمجرد أخطاء فردية من جانبهم وإنّما تعتبرهم نتاجاً لمنظومات اقتصادية وسياسية وقانونية وتربوية لا تنحاز للفئات الأكثر احتياجاً.

ومنذ تأسيسها عام ١٩١٢م، والمحمدية تجاهد من أجل الارتقاء بالمجهودات الإنسانية من خلال مجالات التّربية والصحّة والإعانات الإنسانية وتمكين المجتمع. لقد كان الشيخ المؤسّس (الحاج أحمد دحلان) نموذجاً للرّيادة في هذا المضمار. لقد كان رحمه الله قائداً فكرياً وحركياً إنسانياً. فلم يكن يجيد الحديث فقط عن المفاهيم الإنسانية وإنّما كان مثالاً يحتذى في الفعل المُصدّق للقول عبر قيادته لعملية تحوّل اجتماعية جذرية هدفت إلى إعتاق أفراد الأمّة الإسلامية من ربقة الفقر المدقع والجهالة. فمن على منبر المحمدية وعبّر مجالات عملها، طالما أكّد الشيخ المؤسّس على حقيقة أنّ المحمدية هي حركة إصلاح اجتماعي وإنساني معاً.

لقد كانت روح الإسلام التّقدّمي دافعاً للمحمدية من أجل القيام بحركة إصلاحية اجتماعية وإنسانية، تمخّضت عنها حركة

دعوية من أجل دعم أعمال البرّ مثل العناية الفائقة بالقضايا الاجتماعية، والإعانات العاجلة والتمكين والتآزر المتآخي وشعور المشاركة الوجدانية والتوحّد مع معاناة الإنسانية أنّى كانت (آل عمران: ١٠٤ و ١١٠)، فضلاً عن إدانة أولئك الذين لا يبالون بمعاناة المستضعفين باعتبارهم يكذبون حقيقة الدّين نفسها أو مهدّدون بالخسران المبين كما ورد في القرآن الكريم (الماعون:١-٧، العصر: ١-٣). لقد أضحت هذه التعاليم أساساً للحركة العملية للمحمدية لأنّها تحوي تعاليم التوحيد المتجسّد في حركية العمل الصالح. إنّ الشّخصية الحركية للمحمدية تحرص دوماً على تحويل العقائد الدينية إلى سلوكيات إيجابية تجاه القضايا الإنسانية أينما وجدت.

وانطلاقاً من الشّخصية التجديدية الملازمة لها، فإنّ المحمدية قامت بهيكلة وتنظيم اهتمامها الإنساني من خلال تأسيس مؤسّسات تعمل على تفعيل أخلاق السخاء والكرم الإسلامية. ومع تطوّر تلك المؤسسة، بدأت أعمال البر التي تقوم بها المحمدية في التّمايز إلى أعمال تربوية (schooling) وصحية (healing) وإطعام الطعام (feeding) وتمكين غير القادرين (empowering). ولا تقتصر أعمال البرّ الإسلامية الحديثة التي تقوم بها المحمدية على مجرّد جمع الأموال ولكنّها تتخطى ذلك نحو استثمار تلك الأموال في العمل الإنساني بمعناه المؤسّسي الشّامل. فالمحمدية تقيم باستمرار مشروعات للرّخاء الاجتماعي

مثل مؤسّسات الرعاية الاجتماعية لليتامى والأطفال دون عائل وضحايا الإتجار في البشر وأصحاب الهمم والعجائز... وغيرهم.

ولم يتوقّف جهد المحمدية في هذا الشأن عند هذا الحدّ بل سعت المحمدية إلى تجديد النّظرة إلى حال الفئات المهمشة. وفي هذا السياق طرحت المحمدية مفهوم 'المستضعفين الجُدد'. إنّهم المجموعات التي جرى تهميشهم جرّاء التشوهات المعاصرة في المنظومة الاجتماعية. وتضمّ تلك المجموعة أولئك الذين لا يتسنى لهم النّفاذ للنّظام التّربوي المناسب وأولئك الذين لا تمتدّ إليهم يد المساعدة القانونية والذين يعانون التّمييز والظّلم والتهميش والاستضعاف والإهانة والمعاقبة خارج نطاق القانون، لا لشيء إلاّ لكونهم مختلفين فكرياً أو سياسياً عن التيارات المهيمنة في المجتمع.

ومن هذا المنظور تعتقد المحمدية أنّ الإحسان والإعانة المادية في شكل المساعدات المالية والتّغذية والملبس هو أمر مهم. لكنّ الدّعم القانوني والتمكين السّياسي لفئة المستضعفين الجدد تلك أمر لا يقلّ أهمية عن أشكال الإحسان المذكورة سلفاً.

٤-٣-١- تحطيم شَرْنَقَة الفقر

ترى المحمدية أنّ مشكلة الفقر ليست مجرّد معاناة من صعوبات اقتصادية والتي يمكن التّعامل معها من خلال الإعانات الإنسانية وإنّما تعدّ مشكلة معقدة للغاية، ولذلك تتطلّب حركة

اجتماعية شاملة تضمّ تفتيح مسام المنظومة السياسية لينفذ إليها غير القادرين كي يُسمعوا أصوات معاناتهم لصناع القرار ويؤثرون عليهم التأثير المطلوب فضلاً عن الحماية والدعم القانوني المناسبين. فالمحمدية ترى أنّ مشكلة الفقر ليست مشكلة فردية فقط وإنّما هي مشكلة هيكلية تمسّ معمار المنظومة الاجتماعية السائدة. وبناء عليه، فإنّ إعطاء المواطنين فرصاً للنّفاذ إلى فرص التّمويل، والتّربية الملائمة والضمان القانوني والمشاركة السياسية من شأنه تخفيض المعاناة الاقتصادية إلى أقلّ حد ممكن.

لذلك، فإن السياسات العامة للدولة التي تنحاز إلى الفقراء جنباً إلى جنب مع الوعي العام من جميع طوائف المجتمع لمد يد العون للفقراء كلّ ذلك ضروري ومن الأهمية بمكان. إنّ حركة اجتماعية شاملة كهذه تمثّل سعياً فعّالاً من أجل تحرير الفقراء من شَرَك اللاإنسانية وإرادة عملية من أجل بناء مجتمع قوي يتحقق معه العدالة الاجتماعية حقيقة وحقاً.

لقد أضحى الفقر اليوم ظاهرة عالمية بسبب انعدام توازن النّظام الاقتصادي-المالي العالمي، وقلّة التزام النيوليبرالية العالمية الجشعة تجاه التّخفيف من حدّة الفقر. وفي هذا السياق فإنّ المحمدية تعمل باستمرار من أجل حثّ جميع مكوّنات الأمّة الإندونيسية على اتّخاذ ما يلزم من مواقف للتّغلّب على الفقر لأنّه من دون القضاء على الفقر فإنّ قدرة الأمة على بناء إندونيسيا المتقدّمة حضارياً سيظلّ أمراً مستحيلاً.

ومن ناحية أخرى، فإنّ بقاء معظم قوى العمل الإندونيسية تحت خط الفقر التّعليمي، أي أنهّم لم يتلقّوا تعليماً يزيد على المرحلة المتوسّطة، بينما لم يحظ بفرصة التعليم العالي منهم إلا القليل فإنّ ذلك يعني مزيداً من الفقر بسبب قلّة جودة الموارد الإنسانية الكفؤة. وهذه المشكلة تبدو كحلقة مفرغة فمعظم النّاس لا يستطيعون الولوج لمستويات أعلى من التّعليم بسبب فقرهم، ولأنّهم قليلو المهارة فإنّ ذلك يجعلهم محاطين بشرنقة فقر عصيّة على التحطيم.

٤-٣-٢- تقوية المجتمع

في إطار الخدمات الإنسانية التي تقدّمها المحمدية، فإنّها تقدّم الإعانات التي تحاول استنقاذ المجتمع من حالة المعاناة العامة المستشرية فيه. ويتأسّس هذا العمل على تعاليم سورة الماعون التي تقصد إلى الارتقاء بالمستوى الحضاري للمجتمع وإلى تقوية فئاته المختلفة. وينقسم العمل في هذا السياق إلى خمس حركات اجتماعية أساسية هي: العمل الصحي والخدمات الاجتماعية وحركة تمكين المجتمع ومواجهة الكوارث فضلاً عن مؤسّسة عامل الزّكاة والإنفاق والصدقة بالمحمدية.

وفي إطار تقوية مختلف فئات المجتمع، تمنح المحمدية اهتماماً خاصاً لمجتمعات الفلاحين والصيادين والمزارعين الأجراء وعمّال المصانع ومختلف طوائف المجتمع المهمشة سواء في

القرى أو في المدن. وتحضر المحمدية في تلك الأوساط من خلال أعمال متنوّعة أهمّها توفير التّدريب المهني على المهارات الملائمة واستكشاف وتطوير القدرات والمواهب الكامنة لدى الأفراد وبناء الشّبكات والشراكات الاجتماعية لأغراض التّعليم والتّدريب.

وجنباً إلى جنب تلك الأعمال تسعى المحمدية لتوفير بيئات لتطوير الشخصية الاجتماعية الإيجابية لتلك الفئات من أجل تمكينها وإشاعة الرخاء في أوساطها والارتقاء بمستواها الأخلاقي والحضاري . ومن أكثر التّجارب التي قامت بها المحمدية والتي تتجلّى فيها تلك الأعمال مجتمعة هي تجربة 'القرية الطيبة' حيث يتمّ الدّفع بخطّة لتنمية شاملة للمجتمعات بناء على نوع النّشاط السائد بينها سواء أكان نشاطاً زراعياً أم صيداً أم رعياً حيث تسير برامج التأهيل المهني جنباً إلى جنب مع برامج التّوعية الحضارية.

وفيما يخصّ المجتمعات البعيدة عن المراكز الحضارية مثل المناطق التي سقطت من حساب الدولة في خطط التّنمية أو تلك المعزولة جغرافيا أو التي تحتلّ موقعاً متقّدماً على حدود الدولة مع الدول الأخرى فإنّ المحمدية تمد يد العون إلى تلك المجتمعات في تدريبات مهنية وبرامج تطوير المهارات التجارية المستقلّة. وفي هذا السياق تقوم المحمدية بدور المحفز الإيجابي والمنسق والملهم والوسيط بين مختلف الفئات المعنية موجهّة بمقصد غائي هو التمكين الاجتماعي-الاقتصادي للمجتمعات المهمشة.

٤-٣-٣- تمكين المرأة:

لا تقوم المحمدية بأنشطتها الخدمية في مجال التربية والتمكين الاجتماعي والصحةّ فقط بل تتوسّع إلى مجالات حضارية أخرى مثل العمل على الارتقاء بمستوى حياة النّساء. وفي هذا السياق وحتى من قبل نشأة دولة إندونيسيا، كانت جمعية العائشية لنساء المحمدية، وهي الفرع النسائي من المحمدية من رعيل الرّواد الذين كافحوا من أجل النّهضة بأمور النّساء واستعادة مرتبتهم الإنسانية واستقلال شخصياتهم بكرامة. وبينما كانت التّقاليد المجتمعية آنذاك تقف عائقاً منيعاً أمام قيام النساء بأدوار مؤثرة في المجال العام، أنشأت المحمدية تجمع 'سوبو تريسنو' (Sopo Tresno)، والتي باتت تعرف الآن باسم 'عائشية' في عام ١٩١٧م. كما أنشأت تجمع 'سيسو برويو' (Siswo Proyo)، والتي تعرف الآن باسم جمعية ناشئة العائشية لشابات المحمدية في عام ١٩١٩م.

وكان كلّ من التجمعين بمثابة مجال عام لتفعيل دور المرأة من أجل الحصول على فرص التّعليم والتّدريب المهني والتّنظيمي المؤسّسي فضلاً عن مهارات التّواصل الجماهيري فضلاً عن أنشطة تربوية عديدة أخرى. ولم تتوقّف مجهودات المحمدية عند هذا الحد فقد فتحت المحمدية الباب واسعاً أمام المرأة كي تضطلع بأدوار فاعلة في المجال العام، عبّر القيام بأدوار قيادية في المنظّمة وفي مؤسّسات الفتوى والبحث الديني. إنّ المحمدية

تعتقد يقيناً أنّ النّساء والرّجال لهم نفس الإمكانات الكامنة من أجل التفكير وحيازة الإنجاز والفلاح، وأنّ ما يحدّد تفوق بعضهم على بعض هو مدى الالتزام بالعمل الجاد والاستقامة عليه.

ويقوم التزام المحمدية تجاه تمكين المرأة على أساس فهمها لكلام الله سبحانه في سورة النّحل:٩٧، حيث تحمل الآية رسالة المساواة بين المرأة والرّجل في المجازاة على الأعمال الصالحة. ولذلك فإنّ للمرأة الحق نفسه كما الرّجل في النّفاذ إلى فرص التّربية والعمل على تلبية الحاجات الاقتصادية والعمل في المجال العام بل احتلال مواقع القيادة. والمحمدية أيضاً تعتبر أنّ دور المرأة في المجال العام وبخاصة في مجال حوكمة الدّولة على نفس الأهمية مقارنة بدور الرجل. وتقوم تلك الرّؤية ذات التّقدم الحضاري على أساس اعتقاد بأنّ شؤون الدّولة هي شؤون مشتركة لا يجوز تجاهل آراء أي فصيل وطني فيها على أساس الجنس. والأمر نفسه يصدّق على أدوار المرأة في مجالات القانون والتربية والثقافة وغيرها.

ومن جهة أخرى، ترى المحمدية أنّ كراهية النّساء (misoginis)، والحط من مكانتهم الإنسانية، والذي يتّخذ من بعض التّفسيرات الخاطئة لبعض الآيات والأحاديث مَطيَّة له، وذلك بالدّفع بشبهات من قبيل أنّ التّشريعات الإسلامية تقيد حركة المرأة رغم حضور مصالح غالبة في ذلك. فالمحمدية ترى أنّ التّفسير الحق للتّشريعات الإسلامية لا يحمل في طياته أيا من

تلك الدّعاوى، وأنّ الإسلام الحق يفسح المجال واسعاً لتطوير القواعد المنظّمة لأدوار النّساء والرّجال دورانا مع المصلحة الشّاملة المتوازنة بين الفرد والجماعة، بين الدّنيا والآخرة، بين أبعاد الحياة من دين ونفس وعقل ومال ونسل وكرامة إنسانية. ودوران ذلك الأمر مع المصلحة ليس دورانا نسبيا سائلا بل هو دوران مرن حول محور ثابت من القواعد الراسخة المرتبطة وثيقاً بالفطرة والطبيعة البيولوجية والمقاصد الشّرعية الكليّة للإسلام.

والأصل أنّه لا تمييز ولا حداً تحكمياً من حيث المبدأ بين النّساء والرجال فيما يخصّ ما يستطيع كل منهما القيام به من العمل الصالح سواء في المجال الخاص أو العام. فإذا بدت المصلحة بمفهومها السابق متطلّبة لحركة نسائية تنشط في المجال العام وبشكل كثيف مساو أو حتى يفوق أدوار الرجال فلا حرج في ذلك مطلقا.

٤-٣-٤- حماية الأطفال:

توجّه المحمدية اهتماماً بالغاً وجديّا للغاية نحو قضية حماية الأطفال. فالمحمدية ترى أنّ الأطفال هم أمانة من الله سبحانه في أيدينا. إنّهم الأجيال القادمة التي ستواصل تحقيق آمال الأمة والدولة والدين في المستقبل. ولأنّهم أمانة من الله سبحانه، فلابدّ أن يمنح الأطفال الفرصة كاملة للنّمو والتّطوّر سواء من الناحية الجسدية، أو النفسية، أو الاجتماعية. وفضلاً

عن ذلك، تعتبر المحمدية الأطفال اليتامى فئة هشّة، ومن ثمّ تقوم ببذل رعاية خاصّة لها، لأنّهم يكونون أكثر عرضة للتّحرش الجنسي، وتجنيد الجريمة، وكافة أشكال الاستغلال والاعتداء الأخرى.

والمحمدية تؤكّد أيضاً على أهمية الرعاية التّربوية اللصيقة للأطفال الذين لا يجدون عائلاً كافياً، مثل أطفال الشّوارع ويتامى الآباء والأمّهات. والمحمدية تعمل عن كثب لتحقيق ذلك سواء من خلال العهد بهم إلى أفراد من عائلاتهم الأصلية أو عائلات أخرى قادرة ومؤهّلة من أجل الوفاء باحتياجات الأطفال المادية والنّفسية حفاظاً على حقوقهم كاملة.

٤-٣-٥- مواجهة الكوارث:

من منظور جغرافي، تقع إندونيسيا في منطقة 'حزام النار' حيث تلتقي ثلاث ألواح من طبقات الأرض، هي اللوح اليوروآسيوي والإندو-استرالي ولوح المحيط الهادئ، ممّا يجعل البلاد موطناً اعتيادياً للزّلازل وموجّات المدّ البحري العاتية (التسونامي). ومن منظور نفس-اجتماعي تعتبر إندونيسيا أمّة متعدّدة الأعراق واللّغات والثّقافات والأديان. وكما ألواح الأرض التي تحتك فتُنتج الزّلازل قد يُنتج احتكاك أشكال التنوّع النّفس-اجتماعية تلك كوارث ذات طبيعة اجتماعية وفي حال حدوثها غالباً ما تؤدّي الكوارث إلى أشكال عدّة من المعاناة مثل الموت والإصابات

وانهيارات البنى التحتيّة وهلاك الممتلكات وفقدان الوظائف واختلال المحيط الاجتماعي بفراق الأقارب والأصدقاء.

وفي إندونيسيا، يشيع تفسير الكوارث على أنّه غضب إلهي جراء ذنوب النّاس وتقصيرهم في حقّ الله سبحانه. وإزاء هذا تسعى المحمدية إلى تقديم تفسيرات أكثر علمية وأكثر تكاملية؛ أي أكثر تقدماً حضارياً. فتفسير الكوارث يحتاج إلى إدراك أنّ الكارثة ليست قدراً حتمياً منفصلاً عن أعمال الإنسان من حيث التّسبّب فيها وقلّة الاستعداد لها وندرة تأهيل نفسه ومجتمعه لمواجهتها وغياب مواجهتها بإجراءات مناسبة لحظة وقوعها فضلاً عن اتّخاذ ما يلزم من استراتيجيات لإعادة البناء وتلبية حاجات المتضرّرين منها من أجل تجنّب وقوعها مرّة أخرى. وكلّ هذا يلزمه تفكيراً علمياً منظومياً نقدياً.

وفي طرحها لتفسيرات متكاملة للكوارث تجتهد المحمدية لفهم الوحي الشريف فهماً منظومياً. فالكارثة ليست مجرّد غضب إلهي، بل يمكن أن تكون شكلاً من أشكال رحمته سبحانه بعباده أو تفضّله عليهم أو عدالته تجاه أفعالهم كما في الحديث الشريف الذي رواه التّرمذي: إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا وإذا أراد الله بعبده الشرّ أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة. والكوارث موعظة وذكرى من الله سبحانه (محمد:١٠)، تدفع الإنسان دفعاً نحو التأمّل في الواقع والاستبصار الداخلي في الذات (سبأ:١٩)، وتوجهه نحو التّفاؤل بغدٍ أفضل إن هو

عدّل من سلوكه (الروم: ٤١). وفي الحديث الشريف الذي رواه الشيخان قال رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-: «ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتّى الشوكة يشاكها، إلاّ كفر الله بها من خطاياه.»

والمحمدية تعتقد أنّ الكوارث ليست شكلاً من أشكال عدم عدالة الله سبحانه تجاه الإنسان. بل على العكس من ذلك، ترى المحمدية أنّ الكوارث ذكرى من الله على أساس محبّته لخلقه جميعاً. وبالنّسبة للمحمدية، من الممكن اعتبار الكارثة وسيلة لاستبصار الإنسان بغفلته عن الحفاظ على النّظام الطبيعي وعلى فطرته باعتباره مخلوقاً لله سبحانه. وفي مواجهة الكوارث تسعى المحمدية إيجابياً للتّقليل من آثارها وإدارة مخاطرها، والحدّ من الهشاشة في مواجهتا والوفاء بحقوق الضحايا عند وقوعها سواء حقوقهم الضرورية لحظة الجائحة أو حقوقهم في إعادة التّأهيل وإعادة البناء فضلاً عن الحقّ في الإسهام الفعّال في منظومات مواجهة الكوارث والحق في امتلاك شخصية وأدوات تعظّم من الممانعة والمرونة في مواجهة الكوارث.

والاستجابة الفورية لمواجهة الكوارث الطبيعية أو الصّراعية الاجتماعية تعتبر فعلاً إنسانيًا عالمياً، ولذلك تقوم به المحمدية تجاه الضحايا، بغضّ النّظر عن انتماءاتهم وخلفياتهم. وفيما يخصّ الكوارث الاجتماعية فإنّ المحمدية تقوم بدور بناء في إقامة السلام ووسيط لحلّ الصّراع إلى جانب تقديم خدمات

الصّحّة والدعم النفس-اجتماعي فضلاً عن وسائل تطبيع الأوضاع وإقامة سلام مستدام، فضلاً عن صياغة استراتيجيات من أجل تقليل مخاطر حدوث كوارث مشابهة في المستقبل.

وفي قيامها بذلك كلّه تستند المحمدية إلى التّعاليم الإسلامية ذات الوعي الحضاري المتقدّم فالإسلام يحثّ النّاس أجمعين على التّعارف (الحجرات:١٣)، ذلك التّعارف الذي لا يجب أن يتوقّف عن حدود 'التّعارف السّلبي' وإنّما يجب أن يتجاوزه نحو تعارف إيجابي هو التّعاون على البر والتّقوى (المائدة:٥).

وفيما يخصّ دور الحكومة فإنّ المحمدية تعتقد أنّ عليها مسؤولية لمواجهة الكوارث. فللحكومة سلطات واسعة للتّعامل مع الكوارث، سواء الطّبيعة منها أو تلك النّاشئة عن التّمييز غير العادل بين الطوائف الدينية أو العرقية أو الوظيفية. والحكومة مؤتمنة على مصالح النّاس وتضمن تلبية حاجاتهم الأساسية في الأمن والرخاء واستباق الكوارث والمخاطر. ومن ناحية أخرى تمتلك الحكومة ما لا يمتلكه غيرها من موارد وإمكانات كامنة وصلاحيات دائماً ما تحتاج إليها الاستراتيجيات المتكاملة لمواجهة الكوارث. ورغم هذا لا ينبغي ترك الحكومة تواجه الكوارث بمفردها. فعلى جميع مكوّنات المجتمع مسؤولية مشتركة للإسهام الفعّال في ذلك الجهد سواء في مرحلة التقليل من احتمالات حدوث الكوارث، أو الاستجابة الفورية لها، أو إعادة التّأهيل أو إعادة البناء بعد انقضائها. وأخيراً، تسعى المحمدية جاهدة لتوسيع نطاق خدمتها

في هذا المجال ليشمل المجالين القومي والدولي على حد سواء.

٤-٣-٦- التربية للجميع:

ما فتئت المحمدية تقوم بدورها التّنويري من أجل الأمّة الإندونيسية، وذلك عبر إنشائها، وتسييرها، لمئات من مؤسّسات التّربية، بدءاً من مرحلة بستان الأطفال، وصولاً للتّعليم العالي، منتشرة في جميع أنحاء إندونيسيا، بل في كثير من بلدان العالم. إنّ انتشار تلك المؤسّسات يهدف إلى تحقيق مقاصد المنظومة التربوية الإندونيسية وهي تقوية الإيمان والتّقوى والأخلاق الكريمة فضلاً عن التّأثير الإيجابي على مسيرة التّقدّم الفكري ونشر المعرفة الدينية والرخاء الاقتصادي والاجتماعي والتّقدّم الحضاري والسياسي في جميع أرجاء إندونيسيا والمعمورة إن أمكن إلى ذلك سبيلاً. والخدمات التّربويّة التي تؤدّيها المحمدية تشمل جميع مكوّنات الشعب الإندونيسية، بأعراقه، وأديانه، وثقافاته الفرعية المختلفة.

وتستند المحمدية في ذلك إلى فلسفة تربويّة استيعابية تقف على أساس متين من إعلاء قيم التّعدديّة، والانفتاحية العلمية، والرشد العقلاني. وفضلاً عن ذلك, تحثّ روح التّقدّم الحضاري الإسلامي جميع مكوّنات الأمّة الإسلامية على الارتقاء بجودة النّفس، وفي نفس الوقت السلوك مسلكاً إيجابياً تجاه تعدّدية مكوّنات الأسرة الإندونيسية والعالمية لجهة العرق أو

الطّائفة أو الثّقافات الإنسانية الأخرى.

إنّ مفهوم التربية المحمدية ينهض على أساس تقديم خدمة التّربية والتّعليم للجميع. ومن ثم فإنّ منظومة التربية المحمدية هي منظومة منفتحة تمثل ميداناً للتّعارف والتّعاون بين أتباع الدّيانات والمجموعات الاجتماعية المختلفة من أجل الوصول إلى حالة التّقدّم الحضاري معاً. تعتقد المحمدية أنّ انفتاحية المنظومة التربوية يمكّن حدوث حوار ثقافي واستنبات لقيم التعددية في تلك المنظومة. فمن خلال سلوك الانفتاحية التربوية للمحمدية ذاك يمكن للمتعلّمين من مختلف الخلفيات المتنوّعة أن يساهموا مع بعضهم في إيجاد مناخ التّعاضد والتآزّر على المستوى القومي.

والمحمدية، يوما بعد يوم ترسخ هويتها باعتبارها حركة تربوية استيعابية وذلك عبر تطوير قيم الدّيمقراطية والتّسامح والعدالة والإنسانية العالمية. ونموذج التربية هذا تتمّ صياغته وفق اعتقاد المحمدية بأنّ تجديد المنظومة التّربوية لابدّ وأن يتمّ من أجل تحقيق مقصد الخروج من أزمات الإنسانية المعقدّة الحالية التي تمّت الإشارة إليها سابقاً عند الحديث عن مهمّة الدّفع قدماً بالدّيمقراطية.

٤-٣-٧- الخدمات الصحية

تقوم المحمدية بدور كبير في مجال الخدمات الصحية، وذلك من خلال آلاف من قوى العمل الصحيّة، ومؤسّسات الخدمات الصحية فضلاً عن مؤسّسات التّربية والتّعليم الصحيّة. ولا يقتصر حضور أشكال الخدمات الصحيّة تلك على المراكز الحضرية في إندونيسيا فقط، إنّما تمتدّ لتشمل المناطق الحدودية والمعزولة وتلك الّتي سقطت من حسابات الحكومة التّنموية. وتستند المحمدية في خططها لتطوير خدماتها الصحيّة إلى مدى حاجة المناطق المختلفة لتلك الخدمات. وكما الخدمات التربوية تسلك المحمدية نفس السلوك الانفتاحي على جميع مكوّنات الشّعب الإندونيسي فيما تقدّمه من خدمات صحية، من دون تمييز على أي أساس كان. وينبع التزام المحمدية الانفتاحي ذلك من تعاليم سورة الماعون.

ونموذج الخدمات الصحيّة الاستيعابي الذي تتبناه المحمدية هذا يتماشى مع مقصد الحركة الاجتماعية للمحمدية المتمثّل في تطوير وظيفة الخدمة الصحية والرخاء العام على أساس «مُعين المصائب العامة» (Penolong Kesengsaraan Umum – PKU)، أي أن تكون المحمدية الطرف الذي يقدّم المعونة لمن تحلّ به مصائب الدّهر ولا يكون قادراً بمفرده على مواجهتها. لقد كانت روح الإعانة على مصائب الدّهر تلك هي قادت على الدّوام توفير المحمدية للخدمة الصحيّة للجميع من أجل

الارتقاء بجودة حياة مكوّنات المجتمع ككل وعلى رأسهم الضّعفاء الذين هم في أمس الحاجة للخدمات الصحية الملائمة.

٤-٤- الخدمات العالمية

باعتبارها منظّمة ذات صبغة حضارية تقدّمية، فإنّ الطلب يزداد على المحمدية لتكون فاعلاً إيجابياً على المستوى القومي والدّولي معاً. وتقع على عاتق المحمدية مسؤولية الإسهام الفعّال في إقامة نظام حياتي عالمي عادل، مسالم، ويتمتّع بالرّخاء العام. فعلى المحمدية أن تبرز رسالة الإسلام الأبرز، وهي تحقيق الرّحمة للعالمين في جميع أبعادها. ومبدأ الرحمة هذا ينشر خافقيه بشكل واسع يضمّ جميع الأمم بلا تمييز. وفي سبيل القيام بمهمّة الرّحمة للعالمين تلك، فإنّ المحمدية توسّع شبكات التّعاون مع المنظّمات ذات الرّسالة المتشابهة عبر الحدود القومية. كما تقيم المحمدية فروعاً لها في شتى أنحاء العالم.

وتنشط في تحقيق شراكات مع المؤسّسات الدولية ذات الصّلة من أجل دعم الأمن والسلم العالميين وإنهاء الصراعات، وكلّ هذا في إطار أداء رسالة الإسلام العالمية. وإلى جانب هذا تقوم المحمدية بالعديد من الأدوار الأخرى العابرة للقوميات ومنها على سبيل المثال الحوار بين الأديان وبين الحضارات والاستجابة السريعة للكوارث الطبيعية أو التي من صنع الإنسان والمنح الدراسية للطّلاب وإنشاء مؤسّسات التربية والدعوة خارج

إندونيسيا فضلاً عن الإسهام في إصلاح نظام التوقيت الإسلامي بشكل توافقي دولي من خلال الدّعوة لتطبيق روزنامة إسلامية عالمية موحّدة في إطار توحيد تواريخ بدء وانتهاء العبادات الإسلامية المهمّة كالصّوم والحج. إنّ توسعة أنشطة المحمدية خارج إندونيسيا لينطلق من اعتقاد راسخ لدى المحمدية بأنّ التّقدّم الحضاري الإسلامي يحتاج إليه المسلمون والعالم أجمع على حد سواء. ومن هنا تندرج الأنشطة العابرة للقوميات والحدود الدولية للمحمدية تحت بند الدعوة إلى الخير وبذل النّفع لأجل تقدّم الحضارة الإنسانية جمعاء.

إنّ توسعة نشاط المحمدية ليشمل المجال الدولي يعتبر اهتماماً أصيلاً منذ أيام الشّيخ المؤسّس رحمه الله والذي كان يعتقد بأنّ توحيد المسلمين بشكل عالمي أمر ضروري. ففي خطابه الذي ألقاه عام ١٩٢٢ الميلادي, أشار الشّيخ المؤسّس أحمد دحلان إلى أنّ الأمّة الإسلامية يجب أن تتوّحد من أجل بناء الحضارة الإنسانية. لقد أكّد الشّيخ رحمه الله على: (١) أهمية توحيد قلوب النّاس أجمعين، لأنّهم يصدرون عن أب واحد وأم واحدة هما آدم وحواء عليهما السلام؛ (٢) ومن خلال توحيد القلوب هذا ستتمكن البشرية من تحقيق الرّخاء المشترك في الدنيا؛ (٣) وعلى النقيض من ذلك، إذا لم يتمّ هذا التّوحيد، بسبب سلوك زعماء المجتمعات المختلفة الذين يتباغضون ويتجاهلون آراء ومعارف بعضهم البعض؛ إذا لم يتمّ ذلك التّوحيد، فإنّه سيؤدّي إلى تدمير

الإنسانية وتدمير الحياة من حولها؛ (٤) وأنّ مثل ذلك السّلوك السّلبي، الذي يتميّز بضيق الأفق، يرجع غالباً إلى قلّة المعرفة العلمية؛ (٥) يبدو هؤلاء الزّعماء ضيّقوا الأفق كمن يخبط خبط عشواء في الظّلام، متجادلين بتباغض، مما يتسبّب في وقوع الفساد في الأرض؛ (٦) يجيد معظم هؤلاء الزّعماء الخطابة والكلام، ولا يقومون بفعل ما ينبغي عليهم فعله؛ (٧) ومرّة أخرى يؤكّد الشّيخ المؤسّس على ضرورة توحيد قلوب النّاس والذي لابد وأن يبدأ من توحد قلوب زعمائهم أولا.

٤-٤-١- إقامة العدل

يتطلّب الإسلام التّقدّمي خدمة دؤوبة من أجل إقامة العدالة بين النّاس في الأرض. والتّوحيد الصّافي، الذي يقوم على أساسه ذلك التّقدّم، يوجب إخلاص العبادة لله وحده ومن ثمّ ينظر للخلق جميعاً بأنّهم سواسية. ومعاملة النّاس بالعدل، حتى مع كراهيتهم، يعتبر واجباً دينياً أساسياً للغاية لأنّه يمهّد الطريق لبلوغ مرتبة التّقوى (المائدة: ٨). والعدالة حاجة فطرية أساسية لجميع النّاس ومن أجل ذلك يجب تحقيقها سواء على مستوى العلاقة بين الأفراد بين المجتمعات أو بين القوميات والشعوب. والعدالة تجلب السلام والرخاء. وبناء عليه فإنّ إقامة العدالة تعني الوقوف بوجه كافة أشكال الظّلم مثل استغلال ثروات، واحتلال أراضي الغير بغير حق، وتحرير الأسواق العالمية من كلّ

قانون ضامن لحقوق الفئات الأضعف. إنّ العدالة تعني مواجهة كافّة أشكال التّمييز واتّساع الفجوات الاجتماعية، غير القائم على الحق بين النّاس فرادى كانوا أم جماعات.

إنّ التّعدّدية والاختلاف لهو أمر طبيعي. لكن من منظور التّوحيد الإسلامي، لا ينبغي اتّخاذ ذلك مطيّة لاستبعاد عدالة التّعامل مع خلق الله. والإسلام، في هذا السياق رحمة للعالمين تقوم بإزالة كافة أشكال عدم العدالة المترتبة على تلك الاختلافات. فالجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام ودعوة رسول الله محمد -صلّى الله عليه وسلّم- كانت مرتعاً خصباً لممارسات الظلم الجاهلي والتي كانت تتجسّد في التّعصّب القبلي والرق غير القائم على الحق، فضلاً عن ممارسات الاستغلال الظّالم للثروة عبر الرّبا.

وعندما بزغ فجر الإسلام مع مجيء النّبي محمد -صلّى الله عليه وسلّم- نجح الإسلام تدريجياً وحازم وفعّال في تغيير المعادلة الاجتماعية ككل نحو المساواة والعدالة. لقد جعل الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- من الرقيق إخوة لمالكيهم لهم نفس حقوقهم بل نفس جودة الحياة التي يتمتّع بها مالكوهم.

وفي نفس السّياق من إقامة المساواة والعدالة رسخ الإسلام ثقافة الشورى. وأدان العصبية القبلية في الحديث المتّفق عليه قائلاً : «دعوها فإنّها منتنة». وأقام مجتمعاً متعاضداً، عابراً للقبائل والطّوائف والأديان، من خلال ميثاق المدينة، مع الاحتفاظ بمرجعية الشريعة الإسلامية حكمًا نهائياً بين تلك

المكوّنات جميعها. لقد نجح ميثاق المدينة في إرساء السلام بين القبائل المتناحرة وتوحيد المهاجرين مع الأنصار بناء على مبدأ الأخوة والعدالة، حتى ساد التّناغم الاجتماعي بين سكّان المدينة المنوّرة.

لقد أثبت ميثاق المدينة أنّ المجتمع المتقدّم حضارياً يستطيع أن يدير اختلافه بشكل حضاري عادل. ومن منظور إسلامي فإنّ الحضارة لا تولد من فراغ إنّما تولد من خلال تفعيل عقيدة التّوحيد. فمن خلال ذلك التّفعيل يتحلّق الموحّدون بالله حول مبدأ المساواة بين خلقه، ومن ثمّ الوحدة بينهم. فالعدالة تولد وحدة الأمّة، وعلى النّقيض من ذلك يتسبّب الظّلم في الفرقة والتّناحر. إنّ توحيد الله يوجب العدالة ويضاد كافة أشكال الاضطهاد. وفي هذا الإطار يصبح التّآزر والتآخي الدولي من أجل إقامة نظام عالمي عادل؛ يصبح واجباً حضارياً على جميع الأمم المؤمنة بالله سبحانه.

٤-٤-٢- تلبية حقوق الإنسان

إنّ حضور المحمدية من أجل إشاعة النّفع العام للحضارة الإنسانية لا يمكن فصله عن مقصد الدّعوة الإسلامية التي توجب الدّعوة إلى الخير أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر. وموضوع تلك الدّعوة هو الفرد والمجتمع معاً. وتنهض تلك الدّعوة على معايير أهمّها الحكمة، والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن وكلّها

مظاهر دالة على احترام الإسلام لحقوق النّاس الأساسية بما في ذلك الحق في الاعتقاد الديني بما في ذلك الإيمان أو الكفر. وفي نفس الوقت، ينبغي تفعيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تلبية ودفاعاً عن حقوق النّاس عن طريق الأمر كلّ ما يدعم تلك الحقوق والنّهي عن كلّ ما يهددها.

ومن وجهة نظر إسلامية، فإنّ تقدير حقوق النّاس الأساسية يعتبر واجباً عالمياً، دون تمييز لأنّ الإنسان قد خلق الله وكرمه (الإسراء:٧٠). وكرامة الإنسان تلك يجب أن تُحترم من الجميع فمن سبيل ذلك الاحترام يتولّد الحق والواجب معاً. إنّ تلبية الحقوق الأساسية للنّاس يعتبر تجسيداً لقيم الإنسانية، والعدالة، والمساواة، والتي تعتبر رأس مال مبدئي من أجل تحقيق التّقدّم الحضاري للمجتمع الإنساني العالمي.

إنّ إقامة حقوق النّاس الأساسية يجد جذوره فيما يسمى 'بالضرورات الخمس'، أو المصالح الضرورية التي تهدف الشريعة الإسلامية لتحقيقها. وتلك المصالح الضرورية هي: رعاية الحق في التديّن (حفظ الدين)، والحق في الحياة (حفظ النفس)، والحق في الرشد العقلي (حفظ العقل)، والحق في التّناسل (حفظ النسل)، والحق في كسب الثّروة (حفظ المال). ومن العلماء من يضيف ضرورة سادسة هي الحق في الكرامة الإنسانية (حفظ العِرض). إنّ التّعاليم الإسلامية تضمن حصول كلّ إنسان على تلك الحقوق الأساسية وفي نفس الوقت تؤكّد على واجب كلّ

إنسان أن يحترم حقوق الآخرين. وبعبارة أخرى فإنّ الحفاظ على حقوق النّفس لابدّ أن يسير جنباً إلى جنب مع الحفاظ على حقوق الآخرين. واعتماداً على وجهة النّظر هذه فإنّ تقدير حقوق النّاس وإنزالها منزلة سامية يعتبر جزءاً من تعاليم الإسلام وصولاً إلى الحياة الطيبة.

إنّ اهتمام المحمدية بحقوق النّاس الأساسية لا يتوقف على الاهتمام بالمفهوم فقط أو مناصرة قضاياه أو دعم السّياسات العامة الخاصة به وإنّما يتميّز بالعملية والتطبيقية في مختلف مجالات الحياة من خلال تلبية الحاجات الحياتية الأساسية للنّاس. وإلى جانب هذا فإنّ المحمدية تسهم إسهاماً فعالاً في إثارة الجدل العام وطرح الحلول حول السياسات العامة التي لا تتّفق مع مبادئ العدالة وإقامة حقوق النّاس.

إنّ مسلك المحمدية في هذا الصّدد هو مسلك متّسق مع نفسه فتراه يقدّم المعونة الإرشادية للمجتمعات التي تقع ضحية لانتهاك حقوق النّاس الأساسية فضلاً عن مجهودات التّعليم والتوعية عن أهمية تلك الحقوق وأهمية التّمسك بالحقوق المدنية والسياسية. وفي المجال الدولي فإنّ المحمدية لا تتوقف عن الصدع بالدعوة إلى السلوك الحازم في مواجهة انتهاكات حقوق النّاس في جميع أنحاء المعمورة بما في ذلك انتهاكات حقوق النّاس المدنية والسياسية وخاصة المجموعات المنتمية للأقليات.

٤-٤-٣- تحقيق السلام

يمكن استقصاء إسهام المحمدية في تحقيق السلام العالمي من خلال العديد من السياسات، وإعلانات المواقف والمشاركة في الحوارات، والوساطات وتمكين المجتمعات في أماكن الصّراعات بل والإسهام في حل تلك الصراعات. ويستند جهد المحمدية المتنوّع هذا إلى الأمر الإلهي بوجوب الإصلاح بين المتنازعين (الحجرات:١٠). ودور الوسيط هذا يجد جذوره أيضاً في مفهوم 'الأمّة الوسط' ووسطية الإسلام، التي تتجسّد سلوكاً تفاوضياً وحلولاً سلمية بين المتنازعين من أجل إرساء السّلام العالمي. ولأنّ السّبب الجذري لمعظم الصّراعات يعود إلى الظّلم وانعدام العدالة، فإنّ الكفاح من أجل إرساء السلام العالمي يجب أن يبدأ أولا بترسيخ العدالة.

والمحمدية باعتبارها منظّمة ذات توجه وسطي معتدل، فإنّ هذا يعتبر رأس مال اجتماعي جيد للغاية من أجل تقديم صورة عامة عن الإسلام المسالم في أعين العالمين. وخاصّة مع وجود إندونيسيا كأكبر مجتمع مسلم في العالم. ولذلك فإنّ تأثير المسلمين الإندونيسيين بمن فيهم أتباع الجمعية المحمدية، لديه إمكانية تأثيرية ضخمة لجهة تدشين دبلوماسية للسّلام العالمي باسم الإسلام. ولا يقتصر أداء المحمدية في هذا المجال على المساهمة في المؤتمرات والمنتديات العالمية ذات الصّلة ولكنّه يتجاوز ذلك نحو الإسهام الفعلي في إقرار السلام وإنهاء الصراعات

في العديد من المناطق مثل الفلبين بالإضافة إلى المساهمة في التّخفيف من معاناة المجتمعات في مناطق الصّراع مثل تايلند ونيبال وفلسطين وميانمار. وكلّ تلك الإسهامات تنضوي تحت المبدأ العام الذي تؤمن به المحمدية بأنّ الإسلام رحمة للعالمين، ومن ثمّ يجب أن يكون قوّة فاعلة في إقرار السلام العالمي.

٤-٤-٤- استدامة البيئة

يتمثّل الدّور العالمي للمحمدية أيضاً في التّعامل مع حالات الدّمّار البيئي التي لا تمثّل تهديداً لدولة بعينها، وإنّما باتت تهدّد المجتمع العالمي ككل. فأشكال الدمّار البيئي المتعدّدة مثل الفيضانات والانهيارات الأرضية، ونضوب الأنهار والبحيرات وندرة المياة العذبة وتلوث المياة والهواء والاحترار العالمي واختلال التّنوّع البيئي الطبيعي والأوبئة المنتشرة بين الإنسان أو الحيوان فضلاً عن انخفاض المخزون العالمي من الغذاء؛ كلّ تلك المظاهر أضحّت تشهد ازدياداً ملحوظاً في الآونة الأخيرة. وما ذلك الازدياد إلا نتيجة عن اختلال التّوازن وفساد البيئة الطبيعية والصناعية في النّظام الأرضي ككل. وليس هذا بسبب دورات الطبيعة فقط، إنّما يحدث في معظمه اليوم بأثر فعل الإنسان نفسه مصداقاً لقول الله سبحانه في سورة الروم:٤١ «ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي النّاس».

إنّ إحدى المشكلات البيئية الكبرى التي تواجه الإنسانية اليوم هي 'التغيّر المناخي' على مستوى عالمي. لقد أدّى سلوك الإنسان المسرف تجاه مصادر الطاقة وسلوكه المستهتر تجاه مختلف مكوّنات البيئة إلى ارتفاع في درجة حرارة الكوكب وإلى تغيّر كبير وسريع في طبقات الجو العليا وفي طبيعة البحر والبر على حد سواء. ولقد تسبّبت تلك الظّواهر ومن المتوقع أن يزداد تأثيرها لاحقاً في تهديد استدامة الحياة الإنسانية والطبيعية على سطح كوكب الأرض. كما تسبّبت في ظواهر مناخية شديدة مثل الرياح العاتية وحرائق الغابات الهائلة، والفيضانات الكبرى وموجات الاحترار في كثير من الأماكن التي لم تكن الحرارة من طبيعتها خاصة في الجزء الشّمالي من الكرّة الأرضية. ويُخشى إن استمرّ الوضع الحالي على ما هو عليه حيث تزداد درجة حرارة الكوكب باستمرار أن يؤدّي هذا إلى إنهاء الحياة على الأرض.

وتسعى المحمدية جاهدة من أجل دعوة المجتمع العالمي إلى الضغط على، ومراقبة، صناع السياسات الذين تؤدي سياساتهم إلى إلحاق الضرر بالبيئة الطبيعية وزيادة الاحترار العالمي. وعلى المستوى العملي، فإن أعضاء المحمدية يشتركون بكثافة، على مختلف الصُّعد والطبقات الاجتماعية، في حركة واسعة من أجل العمل على استدامة البيئة. وتتخذ تلك الحركة شكلا فرديا في ضبط طريقة العيش نحو طريقة أكثر دعما للتوازن البيئي، كما تتخذ شكلا جماعيا يتمثل في تدشين المدارس والجامعات

الخضراء وصدقات المخلفات (التصدُّق بمحتويات النفايات النافعة أو إعادة تدويرها بشكل ملائم والتصدق بالناتج عن ذلك)، ومعاهد الكوادر البيئية التي تهتم بتخريج قادة مختصين بإدارة النظم البيئية البرية أو البحرية أو النهرية. كما يجتهد أعضاء المحمدية في استزراع الأشجار في مناطق يطلقون عليها 'مناطق تلطيف المناخ'، فضلاً عن حركات لإحصاء الموارد البيئية الطبيعية ومراقبة توازنها، بالإضافة إلى النّشاط في مجال الطّاقة الجديدة والمتجدّدة. وتأمّل المحمدية من جميع أشكال سعيها السابقة أن تسهم، عن حق في جعل مجتمعنا العالمي أكثر رخاء وأكثر تحضراً.

٤-٤-٥- النهضة الحضارية

الإسلام هو دين الحضارة. فهو الدّين الذي يسعى إلى الارتقاء الدائم بمستوى حياة النّاس في الدّنيا والآخرة معاً. والحضارة مفهوم ذو دلالات واسعة. فالحضارة تعني جهود الإنسان المتمثّلة في بناء الفكر، وطريقة الحياة، والعلم والتّقنية والتي تتجسّد واقعاً في منجزات مادية أو غير مادية. وبناء على هذا المفهوم للحضارة، فإنّ الإسلام قد منح العالم إسهاماً عظيماً في بناء الحضارة الإنسانية العالمية. ولهذا، فإنّ الأمّة الإسلامية يقع على عاتقها مسؤولية كبرى من أجل العمل على استدامة ذلك الإسهام العظيم، بشكل يعكس قيم الإسلام الرائدة، باعتباره

ديناً ينحاز إلى التّقدّم الحضاري بكل معانيه.

إنّ بناء الحضارة عملية مستمرة لا تنتهي. وتبدأ تلك العملية غالباً بأعمال صغيرة لا تلبث مع تطوّر الوقت إلاّ أن تؤتي ثماراً عظيمة. إنّ بناء الحضارة يعني الجهد المبذول من أجل تجسيد قيم التّحضّر في السلوك الحياتي للأفراد والمجتمعات والأمم والدول حول العالم. فعلى المستوى الفردي وفي الأنشطة اليومية، يعني بناء الحضارة التّأكيد على دور الفرد باعتباره 'مواطناً عالمياً' متحضراً/متأدباً. ومن المتوقع أن ينتشر دور ومسؤولية الفرد باعتباره مواطناً عالمياً متحضراً/مؤدباً كما هو حال الدّعوة، لينتهي الأمر به وهو يؤثّر على مستوى واسع. ومن هنا ينشأ المجتمع والأمّة والدّولة والمجتمع الدولي ذوو التّحضّر والتّأدب. إنّ تجربة رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- باعتباره شخصية ذات أسوة حسنة تعكس ذلك الدّور في التأثير الواسع، وفي نشر ضياء الحضارة للعالمين. لقد أدّت أسوة الرسول الحسنة إلى استنبات بذور الحضارة في المدينة المنورة، ومن ثم أضاءت هذه المدينة الدنيا فيما بعد. ولقد كان هذا الدّور الذي بدأ فردياً وأثمر عالمياً تجسيداً حقيقياً لرسالة الرحمة للعالمين الإسلامية.

إنّ جهد المحمدية في سبيل إقامة الحضارة يمكن تصويره جَدِيْلَة حركيّة (ديناميكية) بين المفهوم النّظري والتّطبيق العملي. ويمثّل هذا انعكاساً لشخصية الشّيخ المؤسّس رحمه الله، الذي كان مفكراً ونشطاً حركياً في نفس الوقت. إنّ شخصية أحمد

دحلان كانت تمثّل العلم العملي، والعمل العلمي. وفي نفس الوقت، تعتمد المحمدية في إسهامها الحضاري على مفاهيم عقدية أهمّها «الماعون» و«العصر». فتعاليم سورة الماعون تضمّ مبادئ العدل والمساواة والتحيز للمهمشين. بينما تمنح عقيدة العصر أهمية بالغة للأساس الروحي والعمل الصالح والمسؤولية الاجتماعية والنّظام العام.

والإسلام بوصفه 'دين الحضارة' يمتلك رؤية كونية مؤسّسة على قواعد عقدية راسخة، وفي نفس الوقت مناسبة للأماكن والأزمنة المتغيّرة. إنّ تلك الرّؤية الكونية الإسلامية تؤمن بوحدة آيات الله سبحانه، سواء في الوحي المسطور أو في الكون المبثوث. ولذلك فإنّ الإسلام التّقدّمي يؤكّد على حاجة البناء الحضاري العالمي لأن يتمركز حول محورين متضافرين هما القيم الروحية والأخلاقية الرائدة من جهة، وقيم التّقدّم الاقتصادي والعلمي والتّقني من جهة أخرى، مع هيمنة للقيم الروحية والأخلاقية. فالحضارات التي نمت بناء على التّقدّم المادي فقط انتهى بها الحال إلى الهلاك والزّوال السريع.

ووحدها الحضارة التي تتوازن فيها الجوانب المادية والروحية، تحت قيادة القيم الأخلاقية السامية، هي التي تدوم طويلاً ويتحقق فيها الرخاء الظّاهري والباطني معاً. وفي هذا كلّه، تؤكّد المحمدية على أنّ مسيرة البناء الحضاري هي مسيرة طويلة، وتحتاج لصبر ومثابرة وأنّها في ذلك تعتبر استمراراً لمهمّة النّبي

محمد -صلّى الله عليه وسلّم- لنشر التّنوير والرّحمة للعالمين عبر إرسال العدالة والسلام والرخاء للجميع.

٤-٥- خدمات من أجل مستقبل أفضل

إنّ الإسلام التّقدّمي لهو رؤية ذات توجه مستقبلي متوازن، تعتقد أنّ مصير الحضارة في المستقبل يتحدّد بتصرفات أهلها الماضية والراهنة. فالله سبحانه يوصي عباده دوماً بأن يفكروا ويعملوا لأجل مصالحهم الدائمة وليست الآنية فقط (الحشر:١٨). وفي نفس الإطار ينهى الله سبحانه عباده عن اتّباع الهوى والتّبذير والإسراف وإفساد الحياة وكلّها سلوكيات تؤدّي إلى الخسران المستقبلي. ويُدين القرآن أولئك الذين يتركون إرثاً من الفساد والدمّار للأجيال القادمة (البقرة:٢٠٥، إبراهيم:٢٨) ، كما يدين أولئك الذين يؤثرون الحياة العاجلة على الآخرة (الإسراء:١٨).

إنّ تجهيز المستقبل الملائم لابدّ وأن يبدأ بإعداد الجيل الصاعد عبر تزويده بالوعي، والخلق، والعلم، والتّقنية، ومهارات الحياة المناسبة، كي يكون قادراً على مواجهة التّحديات المستقبلية. فالعلوم التّطبيقية اليوم تحدّد إلى حد كبير مصير الإنسان عبر الاختراقات الكبرى كشفاً وتطبيقاً التي تفوق توقعات الإنسان نفسه وعلى الأخص في مجالات الاتّصالات والمعلومات والذّكاء الاصطناعي والتّقنيات الحيوية وغيرها. ومن هنا لزم أن يعاد النّظر في إدارة ذلك التّقدّم وتوجيهه نحو النفع العام للإنسان

وإرساء رخاء متوازن وعادل.

وإعداد الجيل الصاعد للمستقبل وفق منظور التّقدّم الحضاري الإسلامي لا يتوقف على مجرد إعداده علمياً وتقنياً فقط. بل يجب أن يمتدّ إلى إعداده من أجل الحفاظ على الحياة واستدامتها على كوكب الأرض، أخذاً باعتبار التّحديّات سالفة الذكر في هذا المضمار. فعلى كلّ فرد اليوم تقع مسؤولية العمل من أجل التّصرّف بحكمة على مستوى الإنتاج والاستهلاك من أجل ضمان استدامة الحياة وتوازن نظمها الحيوية. وعلى مستوى الدول وبخاصة إندونيسيا يوجب منظور الإسلام التّقدّمي كفاحاً من أجل توريث إندونيسيا موحّدة، ذات سيادة ومتقدّمة من جهة. وأن تسعى الدّولة لتوريث إندونيسيا ذات الطبيعة الجميلة والنّظم الحيوية المتوازنة والتّقدّم الاقتصادي المتوازن بين احتياجات النّاس واحتياجات البيئة من حولهم.

فالدّولة الإندونيسية التي تمّ تأسيسها بجهاد منقطع النّظير من الرعيل الأول ودفعت فيها أجيال متتابعة أثماناً غالية يجب أن يتمّ توريثها بحال أفضل من جميع الجهات، للأجيال القادمة. وعلى مستوى الأمة الإسلامية فإنّ البناء الحضاري من أجل المستقبل يجب أن يضمّ تأكيداً على قيم الأخوة، والتّسامح، وتقليص الفجوات والصّراعات لأدنى حد ممكن كي لا تدفع الأجيال القادمة ضرائب فادحة جراء أفعال لم ترتكبها.

ولأنّه لا تقدّم حضارياً دون تأمل في دروس الماضي فإنّ التّعاليم الإسلامية توصينا دوماً بالأوبة والتوبة والتّذكّر والاتعاظ بالماضي، من أجل السلوك نحو المستقبل بزاد من دروس الماضي. إنّ الإسلام يوصينا بالتّعلّم من النّماذج الحسنة والاتعاظ بالنّماذج السلبية من الماضي. وفي إطار الإسلام ذي الصبغة التّقدّمية يجب أن يكون النّبي محمد -صلّى الله عليه وسلّم- والجيل الذّهبي من الصّحابة الذي صنعهم على عينه فكانوا جميعاً قدوات حسنة لمن جاء من بعدهم؛ يجب أن يكونوا نبراسا يهتدي به المؤمن الساعي للتّقدّم الحضاري الآن وغداً. لقد حقّقت الحضارة الإسلامية منذ ذلك الحين إنجازات منقطعة النّظير، نجحت بموجبها في تغيير المعادلة الحضارية التي كانت سائدة قبل النّبوة. وبلغت الحضارة الإسلامية شأناً عظيماً سُمي بالعصر الذهبي للإسلام.

لكن عوامل الضّعف والوهن التي نتجت عن إغفال القيم الإسلامية والوحدة والتآخي من جهة، وعن التّقصير في الأخذ بأسباب التّقدّم المادي من جهة أخرى وعن إعطاء الفرصة لأعداء الأمّة بالتّدخّل في شؤونها من جهة ثالثة؛ أدّى كلّ هذا لفقدان سيادة الأمة مادياً وروحياً على وجودها الحضاري. ومن أجل هذا، يجب على كلّ ساع للتّقدّم الحضاري الإسلامي في عصرنا الراهن وعلى كلّ من يأمّل إعداد جيل صاعد يعيد لهذه الأمّة مجدها الحضاري؛ يجب عليهم أن يضعوا نُصب أعينهم دائماً قصّة

الحضارة الإسلامية تلك.

فلا سبيل للتّقدّم الحضاري إلاّ بالاجتهاد لإعادة بناء النّفس المزكاة المتأسية بالنّبي -صلّى الله عليه وسلّم-، والتي تتسلح بالعلم، والصلاح الشخصي والتآخي المجتمعي والتّعاون على البرّ والتّقوى مع الآخرين وفي نفس الوقت تبني عناصر قوّتها واستقلالها. ومن هنا تحديداً يبدأ المسار الحضاري الإسلامي المنشود نحو تحقيق قيم العبادة والعمارة والاستخلاف والشهادة وصولاً لخيرية الأمة المؤسّسة على النّفع والرحمة للعالمين. اللهم آمين.

الباب الخامس
خاتمـــــــــة

لقد تمّ تطوير رؤية التّقدّم الحضاري الإسلامي على أساس اعتقاد يقيني بأنّ الإسلام دين يوصي بتحسين والارتقاء بكافة أبعاد الحياة. وباعتبارها منظّمة تتّخذ من الإسلام قاعدة راسخة لها فإنّ المحمدية وكلّ أعضائها وفي مقدّمتهم قادتها تقع على عاتقهم مسؤولية من أجل دعم قيم التّقدّم الحضاري سواء على مستوى فهم تعاليم الدّين أو على مستوى تطبيقها العملي في الحياة الفردية أو الجماعية التّنظيمية أو المجتمعية على مستوى الأمّة الإندونيسية أو على مستوى الإنسانية جمعاء. وعلى أعضاء الجمعية المحمدية أيضاً تقع مسؤولية الدّعوة إلى المفاهيم الأساسية للتّقدّم الحضاري الإسلام، من أجل أن يصير وعياً إسلامياً عاماً، في سبيل تحقيق التّفوّق الحضاري وفي سبيل تقديم تعريف مناسب للمجتمع الإنساني العالمي بالتّقدّم الحضاري الإسلامي.

ويقود كلّ ذلك مقصد عام هو الإسهام في إقامة نظام عالمي رحيم عادل مسالم يحقّق المصلحة العامة المتكاملة المتوازنة للإنسانية جمعاء بشكل خاص ولخلق الله كلّهم في هذا الكون الفسيح بشكل عام. إنّ جميع المؤسّسات التّابعة للجمعية المحمدية تضافر جهودها معاً من أجل وضع المفاهيم الأساسية

للتّقدّم الحضاري الإسلامي موضع التّطبيق العملي في السياقات الراهنة وذلك في جميع أنشطتها وخطواتها. وفي سعيها الدّؤوب ذلك، فإنّ تلك المؤسّسات المحمدية تضع نصب أعينها أنّ ذلك التّطبيق للتّقدّم الحضاري الإسلامي إن هو إلا خدمة للأمة الإسلامية، وللشعب الإندونيسي، وللإنسانية جمعاء.

إنّ تلك المسؤولية التي تقع على أعتاق أعضاء الجمعية المحمدية لهي نتيجة طبيعية لما ارتضوه جميعاً، بشكل واع وطوعي من اختيار المحمدية كمنظّمة ذات شخصية دعوية تجديدية كميدان للعمل والخدمة من أجل نيل رضا الله سبحانه وتعالى. وفي سبيل تحقيق ذلك كلّه ووعياً بعظّم المسؤولية، وتنوّع العمل المطلوب فإنّ المحمدية تفتح أبواب التّعاون واسعاً مع كافة الأفراد والجماعات المعنيّة، على أساس التّعاون على البرّ والتّقوى.

Yogyakarta:
Jl. Cik Ditiro 23 Yogyakarta Indonesia 55225
Telp. (0274) 553132, Call Center. +62 815 7721 91

Jakarta:
Jl. Menteng Raya 62 Jakarta Indonesia 10340
Telp. (021) 3903021/3903022, Fax. (021) 3903024

ar.muhammadiyah.or.id

pp@muhammadiyah.id